أَبْدِعْ حَيَاتَكَ

• **في اللُّغَةِ**: أَبْدَعَ الشَّيْءَ؛ أَيْ: اِخْتَرَعَهُ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ.

وَ(المُبْدِع)؛ هُوَ: المُنْشِئُ أَوِ المُحْدِثُ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ. فَـ(الله): ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾؛ أَيْ: خَالِقُهُمَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ.

كذلك فَإِنَّ كلمة (بَدِيع) تَعْنِي: الجَدِيد مِنَ الأَشْيَاءِ؛ فَـ(البديع) مِنَ الحِبَالِ مَثَلاً: هُوَ الَّذِي اِبْتُدِئَ فَتْلُهُ وَلَمْ يَكُنْ حَبْلًا مِنْ قَبْلُ، فَنُكِثَ ثُمَّ غُزِلَ وَأُعِيدَ فَتْلُهُ.

كَمَا أَنَّ مِنْ مَعَانِي (البَدِيع) أَنَّهُ: المِثَالُ وَالنِّهَايَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ فَيَقُولُونَ: رَجُلٌ بِدَعٌ وَامْرَأَةٌ بِدْعَةٌ، إِذَا كَانَ غَايَةً فِي كُلِّ شَيْءٍ.

فَـ(**الإِبْدَاع**): التَّفْكِيرُ غَيْرُ النَّمَطِي غَيْرُ التَّقْلِيدِيِّ، عَلَى غَيْرِ طَرِيقَةِ الآخَرِين، .. أَنْ تَرَى مَا لاَ يَرَاهُ الآخَرُونَ ... وَأَنْ تَرَى المَأْلُوفَ بِطَرِيقَةٍ غَيْرِ مَأْلُوفَةٍ؛ بحَيْثُ لاَ تَتَجَمَّدُ العُقُولُ وَالأَفْكَارُ.

إِنَّهُ .. الإِتْيَانُ بِشَيْءٍ غَيْرِ مَأْلُوفٍ، وَإِعَادَةُ صِيَاغَتِهِ بِصِيَاغَةٍ جَدِيدَةٍ جَمِيلَةٍ. ...

فَإِنَّهُ .. النَّظَرُ لِلْمَأْلُوفِ بِطَرِيقَةٍ أَوْ زَاوِيَةٍ غَيْرِ مَأْلُوفَةٍ، ثُمَّ تَطْوِيرُ هَذَا النَّظَرِ لِيَتَحَوَّلَ إِلَى فِكْرَةٍ .. ثُمَّ تَقْيِيم .. ثُمَّ تَصْمِيمٍ .. ثُمَّ إِبْدَاعٍ قَابِلٍ لِلتَّطْبِيقِ. [وَلاَ يَعْنِي هَذَا: الجَمْعُ بَيْنَ (المَأْلُوفِ) وَ(غَيْرِ المَأْلُوفِ) فِي آنٍ وَاحِدٍ].

إِنَّهُ .. التَّفْكِيرُ (اللاَّ مَنْطِقِيّ) بِطَرِيقَةٍ مَنْطِقِيَّةٍ، (أَوِ العَكْس).

إِنَّهُ .. تَنْظِيمُ الأَفْكَارِ وَظُهُورُهَا فِي بِنَاءٍ جَدِيدٍ؛ انْطِلاَقًا مِنْ عَنَاصِر مَوْجُودَةٍ.

إِنَّهُ .. طَاقَةٌ عَقْلِيَّةٌ هَائِلَةٌ، وَهِيَ: فِطْرِيَّةٌ فِي أَسَاسِهَا، اجْتِمَاعِيَّةٌ فِي نَمَائِهَا، مُجْتَمَعِيَّةٌ إِنْسَانِيَّةٌ فِي انْتِمَائِهَا.

إِنَّهُ .. الطَّاقَةُ الْمُدْهِشَةُ لِفَهْمِ وَاقِعَيْنِ مُنْفَصِلَيْنِ، وَالعَمَلُ عَلَى انْتِزَاعِ وَمْضَةٍ مِنْ وَضْعِهِمَا جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ.

إِنَّهُ .. عَمَلُ الشَّيْءِ بِطَرِيقَةٍ أُخْرَى جَدِيدَةٍ وَغَرِيبَةٍ.

إِنَّهُ .. القُدْرَةُ عَلَى حَلِّ الْمُشْكِلاَتِ بِأَسَالِيبَ جَدِيدَةٍ.

إِنَّهُ .. حَالَةٌ عَقْلِيَّةٌ تَنْحُو لإِيجَادِ أَفْكَارٍ أَوْ طُرُقٍ وَوَسَائِلَ غَايَةً فِي الجِدَّةِ وَالتَّفَرُّدِ؛ بِحَيْثُ تُشَكِّلُ إِضَافَةً حَقِيقِيَّةً لِمَجْمُوعِ النِّتَاجِ الإِنْسَانِيِّ.

إِنَّ (الإِبْدَاعَ): هُوَ مَزِيجٌ مِنَ الخَيَالِ العِلْمِيِّ المَرِنِ؛ لِتَطْوِيرِ فِكْرَةٍ قَدِيمَةٍ، أَوْ لإِيجَادِ فِكْرَةٍ جَدِيدَةٍ، مَهْمَا كَانَتْ الفِكْرَةُ صَغِيرَةً، يَنْتُجُ عَنْهَا إِنْتَاجٌ مُتَمَيِّزٌ غَيْرُ مَأْلُوفٍ، يُمْكِنُ تَطْبِيقُهُ وَاسْتِعْمَالُهُ.

إِنَّ (الإِبْدَاعَ): إِنْتَاجٌ عَقْلِيٌّ جَدِيدٌ وَمُفِيدٌ وَأَصِيلٌ. .. فَهُوَ القُدْرَةُ عَلَى تَكْوِينِ وَإِنْشَاءِ شَيْءٍ جَدِيدٍ، أَوْ دَمْجِ الآرَاءِ القَدِيمَةِ أَوِ الجَدِيدَةِ فِي صُورَةٍ جَدِيدَةٍ.

إِنَّ (الإِبْدَاعَ): يَتَمَيَّزُ بِأَكْبَرِ قَدْرٍ مِنَ (الطَّلاَقَةِ الفِكْرِيَّةِ)، وَ(المُرُونَةِ التِّلْقَائِيَّةِ)، وَ(الأَصَالَةِ)، وَ(الحَسَاسِيَّةِ لِلْمُشْكِلاَتِ) ....

إِنَّ (الإِبْدَاعَ): هُوَ نَشَاطٌ عَقْلِيٌّ مُرَكَّبٌ وَهَادِفٌ، تُوَجِّهُهُ رَغْبَةٌ قَوِيَّةٌ فِي البَحْثِ عَنْ حُلُولٍ، أَوِ التَّوَصُّلِ إِلَى نَوَاتِجَ أَصِيلَةٍ لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً سَابِقًا.

إِنَّ (الإِبْدَاعَ): هُوَ القُدْرَةُ عَلَى تَكْوِينِ تَرْكِيبَاتٍ أَوْ تَنْضِيمَاتٍ جَدِيدَةٍ. .. إِنَّهُ البَحْثُ عَنِ الفِكْرَةِ الجَدِيدَةِ فِي غَيْرِ الأَمَاكِنِ الْمُعْتَادَةِ ..

وَأَنْ تَرَى بِخَيَالِكَ -وَالخَيَالُ لاَ حُدُودَ لَهُ- مَا لاَ يَرَاهُ الآخَرُونَ، وَأَنْ يَأْخُذَكَ الخَيَالُ بَعِيدًا فِي عَالَمِ الأَفْكَارِ الإِبْدَاعِيَّةِ، وَأَنْ تُنَظِّمَ هَذِهِ الأَفْكَارَ وَتَنْظُمَهَا وَتُظْهِرَهَا فِي بِنَاءٍ جَدِيدٍ انْطِلاَقًا مِنْ عَنَاصِرِ مَوْجُودَةٍ. ..

فَتَسْتَعْمِلُ الخَيَالَ لِتَطْوِيرِ وَتَكْيِيفِ الآرَاءِ حَتَّى تُشْبِعَ الحَاجِيَّاتِ بِطَرِيقَةٍ جَدِيدَةٍ، .. أَوْ عَمَل شَيْءٍ جَدِيدٍ مَلْمُوسٍ أَوْ غَيْرِ مَلْمُوسٍ بِطَرِيقَةٍ أَوْ أُخْرَى. ... مَعَ الاسْتِفَادَةِ مِنْ أَحْلامِ اليَقَظَةِ!!!

إِنَّهُ -أَحْيَانًا- التَّفْكِيرُ بِطَرِيقَةٍ عَكْسِيَّةٍ. .. فَالتَّفْكِيرُ فِي الشَّيْءِ بِصُورَةٍ عَكْسِيَّةٍ يُعْتَبَرُ مِنْ أَسْهَلِ الطُّرُقِ لِتَوْلِيدِ (فِكْرَةٍ جَدِيدَةٍ).. فَإِذَا قَلَبْتَ تَفْكِيرَكَ فِي أَيِّ شَيْءٍ فَرُبَّمَا سَتَصِلُ إِلَى (فِكْرَةٍ إِبْدَاعِيَّةٍ). ..

غَيِّرِ اتِّجَاهَكَ أَوِ انْطِبَاعَكَ أَوْ وِجْهَةَ نَظَرِكَ؛ فَانْظُرْ إِلَى الهَزِيمَةِ عَلَى أَنَّهَا نَصْرٌ .. وَإِلَى المِحْنَةِ عَلَى أَنَّهَا مِنْحَةٌ. ... وَابْحَثْ فِي الانْتِصَارِ، وَأَيْضًا فِي الهَزِيمَةِ: عَنْ مَوَاطِنِ الخَلَلِ، وَالتَّقْصِيرِ، وَالسَّلْبِيَّاتِ، وَكَذَا؛ عَنْ مَوَاطِنِ القُوَّةِ، وَالإِيجَابِيَّاتِ.

إِنَّهُ .. البَحْثُ عَنْ أَفْكَارٍ (جَدِيدَةٍ) وَ(مُفِيدَةٍ) [إِذَا كَانَ (الإِبْدَاع) فِي مَجَالٍ يَجْلِبُ الدَّمَارَ وَالضَّرَرَ؛ فَلَا يُسَمَّى إِبْدَاعًا بَلْ هُوَ (تَخْرِيبٌ)!] وَ.. (رَائِعَةٍ).

فَهَذَا هُوَ ...: (الإِبْدَاعَ)!

❁❁❁❁❁

• أَمَّا «**الاخْتِرَاعُ**» فَهُوَ: كُلُّ ابْتِكَارٍ أَوِ اخْتِرَاعِ شَيْءٍ جَدِيدٍ نَابِعٍ مِنْ جَهْدٍ شَخْصِيٍّ، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الاخْتِرَاعُ مِنَ المُمْكِنِ صُنْعُهُ وَتَطْبِيقُهُ فِي الوَاقِعِ بِسَهُولَةٍ وَيُسْرٍ. وَيُمْنَحُ المُخْتَرِعُ حُقُوقَ بَرَاءَةِ الاخْتِرَاعِ.

• أَمَّا وَصْفُ «**عَبْقَرِيّ**» فَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنْ (عَبْقَر)؛ وَهُوَ: وَادٍ بِهِ قَرْيَةٌ تَسْكُنُهَا الجِنُّ فِي الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ؛ فِيمَا زَعَمُوا. وَكَانَ العَرَبُ كُلَّمَا رَأُوا شَيْئًا فَائِقًا غَرِيبًا يَصْعُبُ عَمَلُهُ وَيَدُقُّ أَوْ شَيْئًا عَظِيمًا فِي ذَاتِهِ نَسَبُوهُ إِلَى ذَلِكَ؛ فَقَالُوا:(عَبْقَرِيّ)، ثُمَّ تَوَسَّعُوا فِي هَذَا الِاسْتِعْمَالِ فَنُسِبَ كُلُّ شَيْءٍ جَيِّدٍ إِلَى (عَبْقَر)؛ حَتَّى سُمِّيَ بِهِ السَّيِّدُ الكَبِيرُ عَظِيمُ المَكَانَةِ؛ فَيُقَالُ: عَبْقَرِيُّ القَوْمِ؛ أَيْ سَيِّدُهُمْ .وَقِيلَ أَيْضًا: أَنَّ (العَبْقَرِيَّ) هُوَ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ. كَمَا اسْتُعْمِلَ لَفْظُ (العَبْقَرِيّ) بِمَعْنَى: الشَّدِيد.

❁❁❁❁❁

• إِنَّ الإِنْسَانَ (فَرْدًا أَوْ هَيْئَةً أَوْ مُؤَسَّسَةً أَوْ دَوْلَةً) يَحْتَاجُ فِي حَيَاتِهِ إِلَى عُنْصُرَيْنِ:

١. عُنْصُرِ الاسْتِمْرَارِ وَالاسْتِقْرَارِ [الَّذِي يَرْبِطُ الحَاضِرَ بِالمَاضِي] [الحِفَاظ عَلَى الهُوِيَّةِ].

٢. عُنْصُرِ الإِنْشَاءِ وَالتَّجْدِيدِ وَالتَّطَوُّرِ [الَّذِي يَرْبِطُ الحَاضِرَ بِالمُسْتَقْبَلِ] [الإِبْدَاع].

فَالمَطْلُوبُ: عُنْصُر المُحَافَظَةِ عَلَى الصَّالِحِ مِنَ القَدِيمِ مَعَ عُنْصُرِ الرُّقِيِّ وَالتَّقَدُّمِ.

فَلَا بُدَّ مِنَ البَدْأِ بِعَمُودِ وَأُسِّ وَمَرْجِعِيَّةِ نَهْضَتِنَا .. بِتُرَاثِنَا [وَالتُّرَاثُ: مَجْمُوعَةُ المُدْرَكَاتِ السَّائِدَةِ أَوِ المُرْتَبِطَةِ بِحَضَارَةٍ مُعَيَّنَةٍ، وَفِيهَا الصَّالِحُ وَالطَّالِحُ؛ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَى غَرْبَلَةٍ عَلَى مِنْهَاجٍ قَوِيمٍ] عَنْ أَسْلَافِنَا فِي كُلِّ المَجَالَاتِ المَعْرِفِيَّةِ المُخْتَلِفَةِ: فِكْرًا وَنُظُمًا وَسُلُوكًا وَمُؤَلَّفَاتٍ .. بِمَا فِيهِ مِنْ مَبَادِئَ وَقِيَمٍ .. بِكُلِّ مَا وَصَلَ إِلَيْنَا فِي أَيِّ عِلْمٍ مِنَ العُلُومِ أَوْ فَنٍّ مِنَ الفُنُونِ أَوْ حِرْفَةٍ مِنَ الحِرَفِ أَوْ صَنْعَةٍ مِنَ الصَّنَائِعِ ...

إِنَّهُ غَايَةُ فَهْمِ الذَّاتِ وَبِنَائِهَا وَاسْتِجْمَاعِ عَنَاصِرِ الشَّخْصِيَّةِ المُمَيَّزَةِ لِلْهُوِيَّةِ بِالعَوْدَةِ إِلَى جُذُورِهَا .. كُلُّ ذَلِكَ عَلَى هَدْيٍ مِمَّا وَرِثْنَاهُ مِنْ أَسْلَافِنَا وَأَجْدَادِنَا؛ مَا فِيهِ مِنْ خَيْرٍ وَصَلَاحٍ [وَأَفْضَلُ ذَلِكَ عَلَى الإِطْلَاقِ مَاهُوَ وَحْيٌ مُقَدَّسٌ (قُرْآنٌ وَسُنَّةٌ)].

فَلَا بُدَّ مِنَ العِنَايَةِ بِهِ وَصِيَانَتِهِ وَالإِفَادَةِ مِنْهُ وَفَحْصِهِ وَدِرَاسَتِهِ وَبَيَانِ مَا يَنْطَوِي عَلَيهِ مِنْ خَيْرٍ عَمِيمٍ وَفَوَائِدَ جَمَّةٍ جَلِيَّةٍ جَلِيلَةٍ. ...

لَا أَنْ يُغْلَقَ المَجَالُ أَمَامَ ظُهُورِهِ أَوْ إِعَادَةِ إِحْيَائِهِ .. أَوْ يُزْرَى بِهِ .. أَوْ تُؤَخَّرَ رُتْبَتُهُ .. أَوْ يُهْمَلَ .. أَوْ يُهَمَّشَ .. أَوْ يُعَوَّقَ [أَنْ تُوضَعَ المُعَوِّقَاتُ وَالعَقَبَاتُ أَمَامَهُ] .. أَوْ يُحَارَبَ .... [مَعَ التَّفْرِقَةِ بَيْنَ مَا هُوَ إِلَهِيٌّ مُلْزِمٌ وَبَيْنَ مَا هُوَ بَشَرِيٌّ يَقْبَلُ المُخَالَفَةَ وَالتَّطَوِّرَ، مَعَ التَّنَبُّهِ إِلَى أَنَّهُ لَا يُقْبَلُ ذَلِكَ مِنْ أَيِّ أَحَدٍ؛ وَلَكِنْ مِمَّنْ يُحْسِنُ الأَمْرَ وَيُتْقِنُهُ وَمَا جَاءَ فِي مَجَالِ تَخَصُّصِهِ، فَالإِنْسَانُ مِنَّا -مَهْمَا بَلَغَ- لَا يُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا]

فَـ[غِذَاءُ (الهُوِيَّةِ) مَوْصُولٌ بِحَبْلِ (التُّرَاثِ)].

وَ(التُّرَاثُ) هُوَ الوَطَنُ المَعْنَوِيُّ لِلْإِنْسَانِ، وَمَهْدُ تَفْكِيرِهِ وَوِجْدَانِهِ الأَوَّلُ .. وَالبُعْدُ عَنْهُ ضَيَاعٌ وَفُقْدَانٌ لِلنَّفْسِ وَالذَّاتِ.

مَعَ الأَخْذِ بِكُلِّ جَدِيدٍ مُفِيدٍ نَافِعٍ. [فَـ(العِلْمُ) حَيَاةٌ مُطَّرِدَةٌ مُتَسَارِعَةُ التَّقَدُّمِ وَالتَّجَدُّدِ وَالِارْتِقَاءِ]

وَ[«(الحِكْمَةُ) ضَالَّةُ المُؤْمِنِ، أَيْنَمَا وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا»؛ يَأْخُذُهَا مِمَّنْ سَمِعَهَا، وَلَا يُبَالِي مِنْ أَيِّ وِعَاءٍ خَرَجَتْ]

❁❁❁❁❁

إِنَّ (الإِبْدَاعَ) هُوَ قَرِينُ الهُوِيَّةِ وَالخُصُوصِيَّةِ الحَضَارِيَّةِ وَاليَقَظَةِ، وَإِنَّ (التَّقْلِيدَ) مَقْبَرَةٌ لِلَمَلَكَاتِ (الإِبْدَاعَ) وَبَاعِثٌ عَلَى الغَفْلَةِ وَالمَوَاتِ!

إِنَّ (الإِبْدَاعَ) هُوَ التَّعَامُلُ وَالتَّفَاعُلُ (تِكْتِيكِيًّا، وَاسْتِرَاتِجِيًّا) (عَلَى المَدَى القَصِيرِ، وَعَلَى المَدَى الطَّوِيلِ) مَعَ الوَاقِعِ المُتَشَابِكِ بِمُتَغَيِّرَاتِهِ وَتَنَاقُضَاتِهِ، وَالسَّعْيُ إِلَى تَغْيِيرِهِ إِلَى الأَحْسَنِ وَالأَفْضَلِ.

إِنَّ (الإِبْدَاعَ) هُوَ تِلْكَ الفُسَيْفِسَاءُ الَّتِي تَتَشَكَّلُ مِنْ نَبَضَاتِ (الرُّمُوزِ)، وَشَظَايَا (النُّصُوصِ).

.. إِنَّهُ الجَمْعُ بَيْنَ (النَّصِّ) وَ(العَقْلِ).. بَيْنَ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْنَا مِنْ نِعْمَةِ (الوَحْيِ) المَعْصُومِ، وَمَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْنَا مِنْ نِعْمَةِ (العَقْلِ).

❁❁❁❁❁

هَلِ (**الإِبْدَاعُ**) عَمَلِيَّةٌ سِحْرِيَّةٌ غَامِضَةٌ يَتَمَيَّزُ بِهَا عَدَدٌ مَحْدُودٌ مِنَ البَشَرِ مِنَ المُلْهَمِينَ أَوِ العَبَاقِرَةِ؟

أَمْ هُوَ مَوْجُودٌ عِنْدَ كُلِّ البَشَرِ بِقَدْرٍ يَتَفَاوَتُ مِنْ فَرْدٍ إِلَى آخَرَ؛ كَمَا يَرَى أَصْحَابُ المَفْهُومِ الحَدِيثِ لِلْإِبْدَاعِ؟

مَا هِيَ دَوَافِعُ (الإِبْدَاعِ) الَّتِي تُحَفِّزُ المُبْدِعِينَ وَتُحَرِّكُهُمْ إِلَى الإِنْتَاجِ الإِبْدَاعِيِّ؟

وَمَا هِيَ النَّظَرِيَّاتُ الَّتِي وُضِعَتْ لِتَفْسِيرِ حَقِيقَةِ هَذِهِ الدَّوَافِعِ وَطَبِيعَتِهَا؟

هَلْ يَكْمُنُ الدَّافِعُ لِلْإِبْدَاعِ فِي (الِانْفِعَالِ الخَلَّاقِ Creative emotion)؟

أَمْ يَكْمُنُ الدَّافِعُ لِلْإِبْدَاعِ فِي (تَحْقِيقِ الذَّاتِ)؟

❁❁❁❁❁

وَيَتَمَيَّزُ (المُبْدِعُ) بِمَزَايَا عَقْلِيَّةٍ وَنَفْسِيَّةٍ كَثِيرَةٍ؛ مِنْ أَبْرَزِهَا:

الخَصَائِص العَقْلِيَّة:

أ. الحَسَاسِيَّةُ فِي تَلَمُّسِ المُشْكِلَاتِ.

ب. الطَّلَاقَةُ.

ج. المُرُونَةُ.

د. الأَصَالَةُ.

هـ. الذَّكَاءُ.

الخَصَائِص النَّفْسِيَّة:

أ. الثِّقَةُ بِالنَّفْسِ.

ب. قُوَّةُ العَزِيمَةِ وَحُبُّ المُغَامَرَةِ.

ج. القُدْرَةُ عَلَى نَقْدِ الذَّاتِ.

د. الإِيمَانُ -غَالِبًا- بِأَنَّهُ فِي (الإِمْكَان أَبْدَع مِمَّا كَانَ).

هـ. البَذْلُ بِإِخْلَاصٍ وَتَفَانٍ.

و. دَائِمُ التَّغَلُّبِ عَلَى (العَائِقِ الوَحِيد).

ز. حُبُّ الِاسْتِكْشَافِ وَالِاسْتِطْلَاعِ بِالقِرَاءَةِ وَالمُلَاحِظَةِ وَالتَّأَمُّلِ.

ح - المَيْلُ إِلَى الِانْفِرَادِ فِي أَدَاءِ بَعْضِ أَعْمَالِهِ؛ مَعَ مَهَارَاتٍ اِجْتِمَاعِيَّةٍ.

❁❁❁❁❁

❁ وَهَذِهِ بَعْضُ (صِفَاتِ المُبْدِعِينَ):

- يَبْحَثُونَ عَنِ الطُّرُقِ وَالحُلُولِ البَدِيلَةِ، وَلَا يَكْتَفُونَ بِحَلٍّ أَوْ طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ.

- لَدَيْهِمْ تَصْمِيمٌ وَإِرَادَةٌ قَوِيَّةٌ.

- لَدَيْهِمْ أَهْدَافٌ وَاضِحَةٌ يُرِيدُونَ الوُصُولَ إِلَيْهَا.

- يَتَجَاهَلُونَ تَعْلِيقَاتِ الآخَرِينَ السَّلْبِيَّةَ.

obeikandl.com

- لَا يَخْشُونَ الفَشَلَ [(**أَدِيسُون**) جَرَّبَ ١٨٠٠ تَجْرُبَةً قَبْلَ أَنْ يَخْتَرِعَ المِصْبَاحَ الكَهْرُبَائِيَّ].
- لَا يُحِبُّونَ الرُّوتِينَ.
- يُبَادِرُونَ.
- إِيجَابِيُّونَ وَمُتَفَائِلُونَ.

❁❁❁❁❁

❁ مُعَوِّقَاتُ الإِبْدَاعِ الَّتِي تَقْتُلُهُ وَتَفْتِكُ بِهِ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا مَا يَكُونُ مِنَ الإِنْسَانِ نَفْسِهِ، وَمِنْهَا مَا يَكُونُ مِنْ قِبَلِ الآخَرِينِ، مِثْلُ:

- الشُّعُورُ بِالنَّقْصِ، وَبِأَنَّهُ ضَعِيفٌ، وَغَيْرُ مُبْدِعٍ ... إلخ.
- عَدَمُ الثِّقَةِ بِالنَّفْسِ.
- عَدَمُ التَّعَلُّمِ وَالِاسْتِمْرَارِ فِي زِيَادَةِ المَحْصُولِ العِلْمِيِّ.
- الخَوْفُ مِنْ تَعْلِيقَاتِ الآخَرِينَ السَّلْبِيَّةِ.
- الخَوْفُ عَلَى الرِّزْقِ.
- الخَوْفُ وَالخَجَلُ مِنَ الرُّؤَسَاءِ.
- الخَوْفُ مِنَ الفَشَلِ.
- الرِّضَى بِالوَاقِعِ.
- الجُمُودُ عَلَى الخُطَطِ وَالقَوَانِينِ وَالإِجْرَاءَاتِ.
- التَّشَاؤُم.

❁❁❁❁❁

(**اِبْتِكَار الأَفْكَارِ**): هُوَ عَمَلِيَّةٌ [وَعِلْمِيَّةٌ] مُنَظَّمَةٌ لِلْحُصُولِ عَلَى الأَفْكَارِ.

(اِبْتِكَار الأَفْكَارِ) طَرِيقَةٌ عَمَلِيَّةٌ وَعِلْمِيَّةٌ تَعْمَلُ وِفْقَ مَبَادِئَ وَقَوَاعِد؛ هِيَ:

١-الِانْتِقَادُ غَيْرُ وَارِدٍ: لَا تَنْتَقِدُ الفِكْرَةَ مَهْمَا كَانَتْ تَافِهَةً أَوْ مُسْتَحِيلَةً.

٢-الِانْطِلَاقُ بِحُرِّيَّةٍ مَسْمُوحٌ: كُلَّمَا كَانَتِ الفِكْرَةُ مُتَهَوِّرَةً كَانَ ذَلِكَ أَفْضَلَ.

٣-النَّوْعِيَّةُ ضَرُورِيَّةٌ: اِزْدِيَادُ عَدَدِ الأَفْكَارِ يَعْنِي زِيَادَةً فِي أَعْدَادِ الفَائِزِينَ.

٤-الدَّمْجُ وَالتَّحْسِينُ ضَرُورِيَّانِ: إِمْكَانِيَّةُ دَمْجِ الأَفْكَارِ مَعَ بَعْضِهَا، أَوْ تَحْسِينِ بَعْضِهَا.

❁❁❁❁❁

• النَّاسُ جَمِيعًا يَمْتَلِكُونَ كُلَّ القُدُرَاتِ وَالسِّمَاتِ؛ وَلَكِنْ بِقَدْرٍ يَتَفَاوَتُ مِنْ فَرْدٍ إِلَى آخَرَ وَمِنْ جَمَاعَةٍ إِلَى أُخْرَى .. فَلَيْسَ هُنَاكَ اخْتِلَافٌ بَيْنَ النَّاسِ إِلَّا فِي دَرَجَةِ وُجُودِ هَذِهِ القُدُرَاتِ وَالسِّمَاتِ عِنْدَهُمْ.

وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى؛ فَالفُرُوقُ المَوْجُودَةُ بَيْنَ الأَفْرَادِ وَالجَمَاعَاتِ هِيَ فُرُوقٌ فِي الدَّرَجَةِ لَا فِي النَّوْعِ أَوْ فُرُوقٌ كَمِّيَّةٌ وَلَيْسَتْ كَيْفِيَّةً.

وَهَذَا مَا يَنْطَبِقُ عَلَى المُبْدِعِينَ كَذَلِكَ، فَالقُدُرَاتُ الَّتِي يَتَمَتَّعُونَ بِهَا مَوْجُودَةٌ عِنْدَ سَائِرِ النَّاسِ أَيْضًا وَلَكِنْ بِقَدْرٍ أَقَلَّ مِنْ وُجُودِهَا عِنْدَ المُبْدِعِينَ الَّذِينَ حَبَاهُمُ اللهُ بِقَدْرٍ كَبِيرٍ مِنْ هَذِهِ القُدُرَاتِ نَفْسِهَا.

وَالمَحَكُّ الحَقِيقِيُّ لِلْإِبْدَاعِ هُوَ الَّذِي يُمَيِّزُ بَيْنَ **مُسْتَوَيَيْنِ لِلإِبْدَاعِ**:

١. **المُسْتَوَى الرَّفِيعُ**؛ وَهُوَ يَشْمَلُ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُدْخِلُونَ بَعْضَ العَنَاصِرِ الجَدِيدَةِ أَوْ يَسْتَخْدِمُونَ نَهْجًا جَدِيدًا نِسْبِيًّا لِدِرَاسَةِ مُشْكِلَةٍ مَا.

٢. **المُسْتَوَى الأَدْنَى** مِنْ ذَلِكَ؛ وَيَشْمَلُ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَسْتَخْدِمُونَ شَيْئًا كَانَ مَوْجُودًا مِنْ قَبْلُ اسْتِخْدَامًا جَدِيدًا عَلَى نَحْوٍ مَا.

❁❁❁❁❁

إِنَّ (**العَمَلِيَّةَ الإِبْدَاعِيَّة**) لَيْسَتْ مُجَرَّدَ اِنْفِعَالٍ وَقْتِيٍّ [بِلَا مُقَدِّمَاتٍ .. بِلَا أَسْبَابٍ]؛ وَلَكِنَّهَا عَمَلِيَّةٌ وَاعِيَةٌ [يُدْرِكُ صَاحِبُهَا مَا يَفْعَلُهُ] [فِيهَا الذَّكَاءُ، وَفِيهَا الجَرْأَةُ] تَهْدِفُ لِتَحْوِيلِ الأَمَلِ وَالهَدَفِ إِلَى وَاقِعٍ مُعَاشٍ.

❁❁❁❁❁

إِنَّ (**التَّفْكِيرَ الإِبْدَاعِيَّ**)؛ هُوَ: "عَمَلِيَّةٌ ذِهْنِيَّةٌ مَصْحُوبَةٌ بِتَوَتُّرٍ وَانْفِعَالٍ صَادِقٍ؛ يُنَظِّمُ بِهَا العَقْلُ خِبْرَاتِ الإِنْسَانِ وَمَعْلُومَاتِهِ بِطَرِيقَةٍ خَلَّاقَةٍ تُمَكِّنُهُ مِنَ الوُصُولِ إِلَى جَدِيدٍ مُفِيدٍ".

❁❁❁❁❁

• وَ(**التَّفْكِيرُ الإِبْدَاعِيُّ**) يَتَضَمَّنُ:

١. النَّظَرَ إِلَى الأَشْيَاءِ المَأْلُوفَةِ نَظْرَةً جَدِيدَةً.

٢. إِبْدَاعَ أَفْكَارٍ جَدِيدَةٍ وَأَصِيلَةٍ.

٣. مُعَالَجَةَ القَضَايَا بطَرِيقَةٍ أَكْثَرَ مُرُونَة.

٤. تَقْلِيبَ الفِكْرَةِ بِعِدَّةِ وُجُوهٍ.

٥. تَفْصِيلَ الفِكْرَةِ وَرَفْدَهَا بِمَعْلُومَاتٍ إِضَافِيَّةٍ وَاسِعَةٍ.

٦. إِطْلَاقَ الأَفْكَارِ المُتَعَلِّقَةِ بالفِكْرَةِ الوَاحِدَةِ.

٧. التَّفْكِيرَ مَهَارَةَ التَّشْغِيلِ الَّتِي يَسْتَخْدِمُهَا الذَّكَاءُ فِي أَثْنَاءِ القِيَامِ بالعَمَلِ مُسْتَنِدًا عَلَى عَامِلِ الخِبْرَةِ.

❁❁❁❁❁

❁ وَلَكِنَّ (**الإِبْدَاعَ**) -عِنْدَ بَعْضِهِمْ؛ هُوَ:

ثُنَائِيَّةُ (التَّنَاقُضَاتِ) أَيًّا كَانَتْ .. وَالخُرُوجُ عَنِ (المَأْلُوفِ)! ... وَالجَمْعُ وَالتَّعَايُشُ مَعَ (المَأْلُوفِ) وَ(غَيْرِ المَأْلُوفِ) مَعًا فِي سِيَاقٍ وَاحِدٍ [وَعَدَم التَّمَايُزِ بَيْنَهُمَا]، وَ(العَقْلَانِيِّ) وَ(اللاَّ عَقْلَانِيِّ)، وَ(المَنْطِقِيِّ) وَ(اللاَّ مَنْطِقِيِّ)، وَتَحْوِيلُ مَا كَانَ مُسْتَهْجَنًا إِلَى شَيْءٍ عَادِيٍّ يُنْكَرُ عَلَى مَنْ يَسْتَهْجِنُهُ!!

فَهَلِ الوَاقِعُ .. إِلاَّ طَيْفًا مُسْتَمِرًّا مِنْ (تَنْوِيعَاتِ الاخْتِلَافِ)، وَجَمْعًا بَيْنَ أَطْيَافِ وَأَطْرَافِ (الثُّنَائِيَّاتِ)؟

أَلَيْسَ الوَاقِعُ جَمْعًا بَيْنَ (الوُضُوحِ) وَ(الغُمُوضِ)؟ بَلْ رُبَّمَا يَكُونُ غُمُوضُهُ مِنْ شِدَّةِ وُضُوحِهِ .. أَوِ العَكْسِ!!

إِنَّهُ .. إِفْرَازُ وَإِبْرَازُ (المُفَارَقَاتِ) وَ(التَّنَاقُضَاتِ)!!!

❁❁❁❁❁

أَلَيْسَ (الإِبْدَاعُ)؛ هُوَ: المُبَادَرَةُ الَّتِي يُبْدِيهَا الشَّخْصُ بِقُدْرَتِهِ عَلَى الانْشِقَاقِ وَالخُرُوجِ مِنَ التَّسَلْسُلِ العَادِيِّ فِي التَّفْكِيرِ إِلَى مُخَالَفَةٍ كُلِّيَّةٍ؟

أَلَيْسَ (الإِبْدَاعُ): هُوَ التَّحَرُّرُ مِنَ الدَّلَالَاتِ القَدِيمَةِ لِلْأَشْيَاءِ وَإِكْسَابُهَا دَلَالَاتٍ جَدِيدَة.

أَلَيْسَ (الإِبْدَاعُ): السَّيْرَ عَلَى القَوَاعِدِ .. وَهَدْمِهَا؟!

فَبَعْضُهُمْ يَتَصَوَّرُ أَنَّ (الإِبْدَاعَ) هُوَ: الجَمْعُ بَيْنَ (المُتَنَاقِضَاتِ) بَيْنَ الشَّيْءِ وَضِدِّهِ!

❁❁❁❁❁

آهٍ؛ مِنْ تِلْكَ الكَلِمَةِ الرَّشِيقَةِ .. البَرَّاقَةِ: (الإِبْدَاعُ)!

إِنَّهُ .. ثُنَائِيَّةُ الجَمْعِ بَيْنَ: (الهَدْمِ)، وَ(البِنَاءِ). ....

إِنَّهُ .. ثُنَائِيَّةُ الجَمْعِ بَيْنَ: (الثَّبَاتِ)، وَ(التَّغْيِيرِ) [الثَّوْرَةِ]. ...

إِنَّهُ .. ثُنَائِيَّةُ الجَمْعِ بَيْنَ: (التَّحْلِيلِ)، وَ(التَّرْكِيبِ). ....

إِنَّهُ .. عَدَمُ الاعْتِرَافِ بِـ(بَدَاهَةِ الوُضُوحِ)، وَ(سَذَاجَةِ الاكْتِمَالِ).

إِنَّهُ .. عَدَمُ الاعْتِرَافِ بِـ(لَيْسَ فِي الإِمْكَانِ أَبْدَعُ مِمَّا كَانَ).

إِنَّهُ: السَّبْحُ فِي (الخَيَالِ)، مَعَ عَدَمِ الخُرُوجِ عَنِ (الوَاقِعِ).

❁❁❁❁❁

إِنَّهُ فِي الحَقِيقَةِ .. الجَمْعُ بَيْنَ: الحفَاظِ عَلَى (التُّرَاثِ) الإِنْسَانِيِّ بِكُلِّ مَا فِيهِ مِنْ خِبْرَاتٍ وَتَجَارِب، وَبَيْنَ الأَخْذِ بِـ(الجَدِيدِ).

الجَمْعُ بَيْنَ (الجِدَّةِ) وَ(الأَصَالَةِ).

إِنَّهُ الحِفَاظُ عَلَى (الإِرْثِ التُّرَاثِيِّ وَالحَضَارِيِّ) بِكُلِّ مَا فِيهِ مِنْ عَظَمَةٍ وَشُمُوخٍ [مَعَ الشُّعُورِ مِنْ خِلَالِهِ بِالدِّفْءِ وَالسَّكِينَةِ .. وَالعِزَّةِ وَالفَخَارِ]. ...

.. مَعَ الانْتِفَاعِ بِالتَّسَارُعِ التَّقَنِيِّ (التِّكْنُولُوجِيِّ) الهَادِرِ بِكُلِّ مَا فِيهِ مِنْ تَقَدُّمٍ وَازْدِهَارٍ. [وَدُونَ

أَنْ نَكُونَ مُسْتَخْدِمِينَ لَهُ وَمُسْتَهْلِكِينَ فَقَطْ؛ بَلْ أَيْضًا مُنْتِجِينَ لَهُ وَمُخْتَرِعِينَ وَمُكْتَشِفِينَ]

أَيْ: الجَمْعُ بَيْنَ المُثُلِ وَالقِيَمِ وَالغَايَاتِ الأُصُولِيَّةِ الأَصِيلَةِ لِدِينِنَا وَحَضَارَتِنَا، وَبَيْنَ الوَسَائِلِ الحَدِيثَةِ وَالمُتَطَوِّرَةِ لِلْحَضَارَاتِ الحَدِيثَةِ.

إِنَّهُ دَعْوَةٌ لِلْحِرَاكِ الفِكْرِيِّ فِي كُلِّ المَجَالَاتِ؛ الَّذِي يُصَحِّحُ الخَلَلَ وَيَدْفَعُ إِلَى الأَمَامِ.

فَلَابُدَّ مِنَ التَّمَيُّزِ بِصِفَةِ (النُّمُوِّ) وَ(الدِّينَامِيكِيَّةِ)، لَا أَنْ نُخَيَّرَ بَيْنَ (المَاضِي) وَمَعَهُ (التَّخَلُّفِ) .. وَبَيْنَ (التَّقَدُّمِ) وَ(سَحْقِ الجُذُورِ وَالهُوِيَّةِ)!

❁❁❁❁❁

إِنَّهُ القُدْرَةُ عَلَى التَّمَاسُكِ وَالاسْتِقْرَارِ، وَالنُّهُوضِ وَالإِنْجَازِ؛ بَلْ وَالتَّقَدُّمِ فِي ظِلِّ الوَاقِعِ المُعَاشِ والظُّرُوفِ الرَّاهِنَةِ، وَالتَّكَيُّفُ مَعَ مُتَغَيِّرَاتِ عَصْرِ التِّقْنِيَةِ (التِّكْنُولُوجِيَا)[1] وَالمَعْلُومَاتِ، وَاكْتِسَابُ مَعَارِفِهِ وَمَهَارَاتِهِ.

فَإِنَّ (الإِبْدَاعَ) لاَ يَعْنِي أَنْ مُجَرَّدَ أَنْ يُصْبِحَ الأَمْرُ عَادَةً [العَادَةُ: سُلُوكٌ تُدَاوِمُ عَلَى تَكْرَارِهِ (مُمَارَسَة رُوتِينِيَّة يُومِيَّة) حَتَّى يُصْبِحَ سَهْلًا]، وَفِي نَفْسِ الوَقْتِ؛ لَيْسَ ضَرْبًا مِنَ المُجَازَفَةِ الغَارِقَةِ

---

(١) (التِّقانَة) أَوْ (التِّقْنِيَة) أَوْ (التِّكْنُولُوجيَا) وِفْقَ الكَلِمَةِ اليُونَانِيَّةِ: (τεχνολογία). وَهِيَ تَتَكَوَّنُ مِنْ مَقْطَعَيْنِ؛ الأَوَّل (تِكْنُو techno) وَالَّذِي يَعْنِي: (الفَنَّ وَالصِّنَاعَةَ)، وَالمَقْطَعِ الثَّانِي (لُوجيَا logia) وَالَّذِي يَعْنِي: (عِلْم).

وَاصْطِلَاحًا: هِيَ كُلُّ مَا قَامَ الإِنْسَانُ بِعَمَلِهِ، وَكُلُّ التَّغْيِرَاتِ الَّتِي أَدْخَلَهَا عَلَى الأَشْيَاءِ المَوْجُودَةِ فِي الطَّبِيعَةِ، وَالأَدَوَاتِ الَّتِي صَنَعَهَا لِمُسَاعَدَتِهِ فِي أَعْمَالِهِ. فَهِيَ تَشْمَلُ الأَدَوَاتِ البَسِيطَةَ؛ كَالوَرَقِ وَالأَقْلَامِ وَالخَيْطِ وَالنَّعْلِ وَمِفْتَاحِ العِلَبِ، ... وَهِيَ تَدْخُلُ فِي كَافَّةِ مَنَاحِي الحَيَاةِ المُخْتَلِفَةِ وَفِي كُلِّ شَارِدَةٍ وَوَارِدَةٍ؛ فَتَدْخُلُ فِي: الغِذَاءِ وَالطَّعَامِ وَالدَّوَاءِ وَالمَلْبَسِ وَالسَّكَنِ وَالأَدَوَاتِ وَالمُوَاصَلَاتِ وَالاتِّصَالَاتِ وَالتَّرْفِيهِ وَالرِّيَاضَةِ وَالتَّعَلُّمِ وَالعَدِيدِ غَيْرِهَا.

وَإِنْ كَانَ المُصْطَلَحُ يُسْتَعْمَلُ عَادَةً ضِمْنَ مَجَالٍ مُعَيَّنٍ مِنَ (التِّقْنِيَةِ)، وَخَاصَّةً فِي (التِّقْنِيَةِ العُلْيَا) أَوْ (إِلِكْتِرُونِيَّاتِ المُسْتَهْلِكِ).

فِي السَّذَاجَةِ، وَإِيجَادَ التَّنَاقُضِ الحَادِّ وَالإِشْكَالِيَّةِ بَيْنَ: (إِرْثِ أَسْلاَفِنَا)، وَ(جَدِيدِ عَصْرِنَا).

بَلِ الصَّوَابُ؛ التَّعَلُّمُ وَالاسْتِفَادَةُ مِنْ (إِرْثِ المَاضِي) [فَهُوَ المَنَارَةُ؛ لاَ الدَّعْوَةَ إِلَى أُفُولِهِ]، وَ(رُؤْيَةُ الحَاضِرِ) [فَهُوَ وَاقِعُنَا الَّذِي نَحْيَاهُ]، مَعَ تَلْبِيَةِ (تَوَقُّعَاتِ المُسْتَقْبَلِ) [الَّذِي نَمْضِي إِلَيْهِ وَنَأْمَلُ أَنْ يَكُونَ ...] وَاسْتِشْرَافِهِ، وَالأَخْذِ بِـ(الجَدِيدِ النَّافِعِ) [دُونَ الانْبِهَارِ المُرْدِي].

❁❁❁❁❁

وَهُنَاكَ مَنْ يَتَشَرْنَقُ فِي بُيُوتِ العَنْكَبُوتِ (التَّقْلِيدِيَّةِ؛ فِي الحَيَاةِ)؛ وَيَتُوهُ فِي الوَاقِعِ .. وَيَتَقَوْقَعُ فِي نَفْسِهِ، وَيُصَابُ رُبَّمَا بِـ(الفِصَامِ)[1] [(الشِّيزُوفِرِينْيَا)] وَيَعِيشُ فِي عَالَمٍ بَعِيدٍ عَنِ وَاقِعِهِ.. وَيَنْفَصِلُ عَمَّا حَوْلَهُ وَيَشْعُرُ بِالغُرْبَةِ وَالاغْتِرَابِ!

وَهُنَاكَ مَنْ يَتُوهُ فِي بُيُوتِ العَنْكَبُوتِ (الدِّينَاصُورِيَّةِ الخَيَالِيَّةِ) [العَالَمِ الخَيَالِي الافْتِرَاضِيِّ لِلشَّبَكَةِ الدَّوْلِيَّةِ العَنْكَبُوتِيَّةِ (الإِنْتَرْنِت)] .. وَأَصْبَحَ مَسْكُونًا بِفَقْدِ البَصِيرَةِ، وَفُقْدَانِ الذَّاكِرَةِ التَّارِيخِيَّةِ، وَيَعِيشُ خَارِجَ ذَاتِهِ؛ نَتِيجَةَ تَفْكِيكٍ ذِهْنِيٍّ كَانَ عَصِيًّا عَلَى النَّفَاذِ، وَأَصْبَحَ وَاقِعُهُ ذَرَّاتٍ وَأَرْقَامًا عَبَثِيَّةً مَادِّيَّةً؛ فَقَدَ الإِنْسَانُ فِيهَا إِنْسَانِيَّتَهُ وَقِيمَتَهُ وَحَمِيمِيَّتَهُ لأَخِيهِ الإِنْسَانِ. .. مَعَ غُرْبَةِ الوَاقِعِ، وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ عُزْلَةٍ ذِهْنِيَّةٍ وَفِكْرِيَّةٍ وَاسْتِبْعَادٍ اجْتِمَاعِيٍّ وَمُجْتَمَعِيٍّ [مَعَ تَفَسُّخٍ

---

(١) (الشِّيزُوفِرِينْيَا) أَوِ (الفِصَامُ) [الفَصْمُ: الكَسْرُ مِنْ غَيْرِ بَيْنُونَةٍ. وَالانْفِصَامُ: الانْقِطَاعُ] (مِنْ أَصْلٍ يُونَانِيٍّ: σχίζειν، أَلْمَانِيّ: Schizophrenia: يقسم) وَ(φρεν-، φρήν-: عَقْل) هُوَ مَرَضٌ ذِهْنِيٌّ أَوْ سِيكُوزٌ [(إِنْجِلِيزِي: psychosis يُنْطَقُ: /saɪ'kousïs/)] [جُنُونٌ] وَظِيفِيٌّ؛ وَكَانَ يُسَمَّى (الجُنُون المُبَكِّر).

وَ(الشِّيزُوفِرِينْيَا) مِنَ الأَمْرَاضِ العَقْلِيَّةِ غَيْرِ المَصْحُوبَةِ بِمَرَضٍ عُضْوِيٍّ مِثْلُ: (الهَوَسِ) وَ(الاكْتِئَابِ). وَعَدَدُ المُصَابِينَ بِهِ يُمَثِّلُ نِصْفَ عَدَدِ المَرْضَى العَقْلِيِّينَ. وَيُؤَدِّي إِلَى عَدَمِ انْتِظَامِ الشَّخْصِيَّةِ وَإِلَى تَدَهْوُرِهَا تَدْرِيجِيًّا، وَيُعَانِي المُصَابُ بِهِ مِنْ تَفَكُّكِ الوَظَائِفِ النَّفْسِيَّةِ وَالانْعِزَالِ عَنِ العَالَمِ الخَارِجِيِّ وَالانْطِوَاءِ وَسَيْطَرَةِ التَّخَيُّلاَتِ وَالأَوْهَامِ عَلَيْهِ وَالتَّفْكِيرِ الاجْتِرَارِيِّ. وَفِيهِ يَعِيشُ الفَرْدُ فِي عَالَمٍ بَعِيدٍ عَنِ الوَاقِعِ.

العَلاَقَاتِ] [حَتَّى عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ: أَهْلِهِ وَذَوِيهِ (التَّفَكُّك الأُسَرِيّ)، فَكُلٌّ مُنْشَغِلٌ وَضَائِعٌ فِي عَالَمِهِ التَّخَيُّلِيِّ الافْتِرَاضِيِّ (الحَيَاة الثَّانِيَة Second Life)] **(الجِيتُوهَات الفِكْرِيَّة)**. [حَيْثُ كَانَ اليَهُودُ يَعِيشُونَ فِي البِلاَدِ الَّتِي يَقْطُنُونَهَا فِي أَحْيَاءٍ مُنْعَزِلَةٍ؛ تُسَمَّى (الجِيتُو) وَهُوَ حَيُّ اليَهُودِ]

وَمِثْلُهُ التَّائِهُ فِي أَحْلاَمِ اليَقَظَةِ السَّابِحُ فِي الخَيَالِ [وَاحِدٌ مِنَ العَرَائِسِ المُتَحَرِّكَةِ أَوِ الأَفْلاَمِ الكَرْتُونِيَّةِ أَوْ أَبْطَالِ القَصَصِ الخَيَالِيَّةِ]؛ **فَلاَ يُعِيدُهُ شَيْءٌ إِلَى وَاقِعِهِ!!!**

فَـ[الخُطْوَةُ الأُولَى لِتَحْقِيقِ النَّجَاحِ هِيَ الاسْتِيقَاظُ مِنَ الأَحْلاَمِ]

وَمَعَ اخْتِلاَطِ (المُصْطَلَحَاتِ) وَ(المَفَاهِيمِ).

❁❁❁❁❁

فَإِنَّ (المُبْدِعَ) لَيْسَ (مُجْتَرًّا) لِلْمَاضِي فَقَطْ؛ بَلْ لاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُفَكِّرًا يَأْتِي بِـ(الجَدِيدِ) النَّافِعِ، وَذَلِكَ فِي كَافَّةِ المَجَالاَتِ.. فَلاَ يَعِيشُ بِـ(الآلِيَّةِ) المِيكَانِيكِيَّةِ المُمِلَّةِ فِي تَكْرَارِ نَمُوذِجٍ قَدِيمٍ مُتَهَالِكٍ مُغْلَقٍ، وَإِعَادَةِ تَكْرَارِهِ بِلاَ رُوحٍ؛ كَالدُّمَى.

إِنَّنَا نُرِيدُ (تَطْهِيرَ النُّفُوسِ)، وَ(احْتِرَامَ العُقُولِ).

وَلَيْسَ كُلُّ قَدِيمٍ مُقَدَّسًا، وَلَيْسَ كُلُّ جَدِيدٍ إِبْدَاعًا.

(فَلاَ بُدَّ مِنَ الانْتِقَاءِ، وَالتَّرْشِيحِ، وَالتَّرْشِيدِ).

❁❁❁❁❁

إِنَّنَا نُرِيدُ (الإِبْدَاعَ) وَ(التَّجْدِيدَ) وَ(التَّطَوُّرَ) مِنْ خِلاَلِ (المَفَاهِيمِ الإِسْلاَمِيَّةِ) الصَّحِيحَةِ [حَيثُ أَنَّ بِالمَعْرِفَةِ وَالعِلْمِ وَالقُدْرَةِ عَلَى التَّعَلُّمِ وَالتَّحْصِيلِ وَالفَهْمِ وَالاسْتِنْبَاطِ وَالتَّحْلِيلِ أَصْبَحَ (آدَمُ) مُسْتَحِقًّا لِإِعْمَارِ الأَرْضِ، عَكْسُ مَا جَاءَ فِي تَوْرَاةِ اليَهُودِ المُحَرَّفَةِ بِأَنَّ (آدَمَ) طُرِدَ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لأَنَّهُ أَكَلَ مِنْ (شَجَرَةِ المَعْرِفَةِ)؛ فَكَأَنَّ العِلْمَ كَانَ مُحَرَّمًا عَلَى (آدَمَ)!]، **لاَ مِنْ خِلاَلِ (المَفْهُومِ الغَرْبِيِّ) لِلإِبْدَاعِ بِمَا فِيهِ مِنِ اعْتِدَاءٍ عَلَى كُلِّ القِيَمِ، وَالصِّدَامِ بَيْنَ التَّصَوُّرَاتِ المُتَجَذِّرَةِ المُتَنَافِرَةِ وَالمُتَنَاقِضَةِ!!! .. وَمَعَ ذَلِكَ لَا نَرْضَى بِحَيَاةِ السُّكُونِ وَالجُمُودِ وَالتَّحَجُّرِ الفِكْرِيِّ!!**

❁❁❁❁❁

إِنَّ أَجْمَلَ مَا فِي (التَّفْكِيرِ الْمُبْدِعِ)؛ هُوَ أَنَّهُ يُعَبِّرُ عَنْ قُوَّةِ الرُّؤْيَةِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ، وَيُعْطِي أَصْحَابَهُ مَلَكَةً جِيِّدَةً عَلَى حُسْنِ التَّوَقُّعِ وَالاسْتِشْعَارِ بِالقَادِمِ. أَوِ .. القُدْرَةَ الذِّهْنِيَّةَ عَلَى إِيجَادِ التَّرَابُطِ وَالاتِّصَالِ بَيْنَ أَجْزَاءِ الأَعْمَالِ وَالخِطَطِ الْمُخْتَلِفَةِ.

وَتَتَمَثَّلُ هَذِهِ المَلَكَةُ بِمَوْهِبَةِ (رِؤْيَةِ الذَّاتِ) بِشَكْلٍ مَنْطِقِيٍّ وَمُتَوَازِنٍ، ثُمَّ (رُؤْيَةِ الغَيْرِ) كَذَلِكَ؛ بلاَ إِفْرَاطٍ أَوْ تَفْرِيطٍ وَلاَ غُرُورٍ وَلاَ تَهَاوُنٍ.

❁❁❁❁❁❁

❁ إِبْدَاعٌ فِي: العَمَلِ، وَالإِنْتَاجِ، وَالابْتِكَارِ، وَطَلاَقَةِ الفِكْرِ الصَّحِيحِ، وَإِعْلاَءِ القِيَمِ وَالمَبَادِئِ وَالأُسُسِ: الحَقِّ، وَالإِخْلاَصِ، وَالصِّدْقِ، وَالأَمَانَةِ، وَالشَّرَفِ، ... مَعَ دِرَاسَةِ الأَخْطَاءِ وَإِيجَادِ الحُلُولِ الصَّحِيحَةِ لَهَا؛ دُونَ مُحَاوَلَةِ الوُصُولِ إِلَى شَمَّاعَةٍ لِهَذِهِ الأَخْطَاءِ.

- وَأَنْ نَذَرَ أَحْلاَمَ اليَقَظَةِ وَالسَّبْحَ فِي الخَيَالِ وَالاسْتِغْرَاقِ فِي الخُرَافَاتِ [وَالأَمَلَ فِي الوُصُولِ إِلَى (مِصْبَاحِ عَلاَءِ الدِّينِ) الخُرَافِيِّ]. ...

أَوْ نَبْنِي لَبِنَةً فِي بِنَاءِ الْمُسْتَقْبَلِ بلاَ تَرَاخٍ أَوْ تَكَاسُلٍ ... أَوْ نَغْرِسُ غَرْسًا ... كَيْ لاَ يَنْحَرِفَ المَسَارُ، أَوْ تَضِيعَ الثِّمَارُ، أَوْ .. يَقْطِفَهَا آخَرُونَ!!!

❁❁❁❁❁❁

فَالإِنْسَانُ فِي أَمَسِّ الحَاجَةِ لِلنَّقْدِ الذَّاتِيِّ الهَادِفِ الْبَنَّاءِ الَّذِي يَقُومُ عَلَى الصِّدْقِ وَالْمُصَارَحَةِ وَالْمُكَاشَفَةِ (وَالْمُنَاصَحَةِ).

وَهَذَا النَّقْدُ الْبَنَّاءُ يَجِبُ أَنْ: يَرْتَبِطَ بِالْوَاقِعِ الْمُعَاشِ [بَعْدَ التَّعَرُّفِ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَوَانِبِهِ وَبِكُلِّ مَا فِيهِ مِنْ سَلْبِيَّاتٍ وَإِيجَابِيَّاتٍ]، وَالتَّأْصِيلِ العِلْمِي المَكِينِ الوَاعِي القَائِمِ عَلَى البَصِيرَةِ لِلأَعْمَالِ وَالبَرَامِجِ وَالوَسَائِلِ، مَعَ الرُّؤْيَةِ الكُلِّيَّةِ الصَحِيْحَةِ؛ بَعْدَ: دِرَاسَةِ النَّمُوذَجِ المَعْرِفِيِّ الصَّحِيحِ، والْمُجَابَهَةِ الصَّرِيحَةِ لِلْعِلَلِ، وَمَعْرِفَةِ وَكَشْفِ طَبِيْعَةِ الأَسْبَابِ الْفَاعِلَةِ فِي الأَحْدَاثِ وَتَعْيِينِ مَدَاهَا وَتَأْثِيرِهَا، وَالخُلُوصِ إِلَى اللُّبَابِ النَّقِي مِنْ بَيْنِ أَكْوَامٍ مِنَ الرُّكَامِ الغَثِّ، وَالعَمَلِ عَلَى تَطْوِيرِ الذَّاتِ وَبِنَائِهَا (عَقْلِيًّا، وَمَعْرِفِيًّا، وَعَمَلِيًّا، وَتَرْبَوِيًّا).. مَعَ الحَاجَةِ الْمُلِحَّةِ إِلَى التَّأْصِيلِ الثَّقَافِيِّ

الحَضَارِيِّ وَالمَنْهَجِيِّ المَرْجِعِيِّ، مَعَ ضَمَانِ الاسْتِمْرَارِيَةِ وَقُوَّةِ الدَّفْعِ (بَعْدَ القَضَاءِ عَلَى اليَأْسِ وَالقُنُوطِ، وَالبُعْدِ عَنِ التَّكَاسُلِ وَالتَّخَاذُلِ) ... وَالتَّعَامُلِ مَعَ الْوَاقِعِ -بَعْدَ اسْتِيعَابِ المُتَغَيِّرَاتِ الكَثِيرَةِ مِنْ حَوْلِنَا (مَحَلِّيًّا وَعَالَمِيًّا)- وَتَحْوِيلِهِ إِلَى نَصٍّ جَدِيدٍ وَإِلَى مَيْدَانٍ لِلْفِعْلِ. .. وَالدُّخُولِ فِيهِ دُونَ الهُرُوبِ مِنْهُ [تَحْتَ الأَرْضِ أَوْ خَارِجَ الأَرْضِ!!] وَالتَّمَرُّدِ عَلَيْهِ أَوْ الانْخِرَاطِ فِيْهِ فَوْقَ الأَرْضِ. .. وَكَيْفِيَّةِ صِيَاغَةِ أَوْلَوِيَّاتِهِ وَقَضَايَاهُ [مَعْرِفَةُ فِقْهِ الأَوْلَوِيَّاتِ، وَحُسْنُ صِيَاغَتِهَا، وَتَرْتِيبُهَا، وَالسَّعْيُ إِلَى تَحْقِيقِهَا بِبَذْلِ كُلِّ الجَهْدِ المُسْتَطَاعِ]، وَتَرْسِيخِ الثَّوَابِتِ وَتَعْمِيقِهَا فِي النُّفُوسِ، وَتَمْيِيزِ الصُّفُوفِ [وَمَا أَشَقَّ ذَلِكَ!] [﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ (الأَنْفَال/ ٤٢)]، وَالنُّهُوضِ بِالعَمَلِ الجَادِّ، وَتَطْيِيبِ ثِمَارِهِ، وَاسْتِكْشَافِ آفَاقِهِ وَمَجَالاَتِهِ .. فِقْهًا مُتَكَامِلاً يَجْمَعُ بَيْنَ: الأَصَالَةِ العِلْمِيَّةِ، وَالتَّجْرُبَةِ العَمَلِيَّةِ الَّتِي تَضْبِطُ الوَاقِعَ المُعَاشَ. [الإِدْرَاك وَالوَصْف، ثُمَّ التَّحْلِيل]، [الجَمْعُ بَيْنَ العِلْمِ وَالعَمَلِ]

وَتَجْنِيبِ الهَوَى المُطَاعِ؛ الَّذِي يُوَجِّهُ الآرَاءَ وَالأَفْكَارَ، وَالَّذِي يُوقِعُ فِي الشُّبُهَاتِ وَالتَّأْوِيلاَتِ الفَاسِدَةِ، وَمَا فِيهِ مِنْ غُرُورٍ بِالنَّفْسِ، وَمَا يَتَوَلَّدُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ إِعْجَابٍ بِالرَّأْيِ وَالكِبْرِ عَلَى الخَلْقِ، وَمَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ مِنْ إِصْرَارٍ عَلَى الخَطَأِ وَالوُقُوعِ فِي سُوءِ الظَّنِّ بِالآخَرِينَ. .. [وَمَا أَكْثَرَ ذَلِكَ]

وَعَدَمِ تَغْلِيفِ العَقْلِ بِرُمُوزٍ وَسَلاَسِلَ وَأَغْلاَلِ (الاسْتِحَالَةِ) [قَوْل: (مُسْتَحِيل أَنْ يَحْدُثَ كَذَا ...)] [وَيَجِبُ التَّفْرِقَةُ بَيْنَ مَا هُوَ (صَعْبٌ) وَمَعَ ذَلِكَ هُوَ مُمْكِنٌ، وَمَا هُوَ (مُسْتَحِيلٌ)]؛ الَّتِي تُؤَدِّي بِصَاحِبِهَا إِلَى الاسْتِهَانَةِ [وَأَيْضًا: الاسْتِكَانَةِ وَالخُنُوعِ]؛ بَلْ والاسْتِهْزَاءِ بِكُلِّ الآرَاءِ وَالأَفْكَارِ وَالمَفَاهِيمِ وَالمُقْتَرَحَاتِ الإِيجَابِيَّةِ البَنَّاءَةِ، وَالصَّيْرُورَةِ إِلَى عَدَمِ الإِقْدَامِ وَالحَرَكَةِ، وَالتَّقَوْقُعِ وَالانْحِسَارِ.

وَلاَ بُدَّ مِنَ التَّجَرُّدِ وَالاسْتِسْلاَمِ الكَامِلِ للهِ وَالرَّسُولِ ﷺ، وَأَنْ تَكُونَ المَرْجِعِيَّةُ الوَحِيدَةُ هِيَ: (الكِتَابُ)، وَ(السُّنَّةُ)؛ بِفَهْمِ سَلَفِ الأُمَّةِ [مَنْهَج السَّلَفِ الصَّالِح؛ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَأَئِمَّةُ الدِّينِ].

❁❁❁❁❁

وَلَكِنْ لاَ بُدَّ أَنْ نَتعَرَّفَ عَلَى سُنَنِ اللهِ فِي خَلْقِه وَخَاصَّةً فِي بَابِ التَّغْيِيرِ؛ فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ**﴾ (الرَّعْد/ ١١).

فَلَيْسَ مَعْنَى الآيَةِ أَنَّهُ لَيْسَ يَنْزِلُ بِأَحَدٍ عُقُوبَةٌ إِلاَّ بِأَنْ يَتَقَدَّمَ مِنْهُ ذَنْبٌ، بَلْ قَدْ تَنْزِلُ المَصَائِبُ بِذُنُوبِ الغَيْرِ؛ كَمَا قال ﷺ: وَقَدْ سُئِلَ: أَنَهْلَكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ**». وَاللهُ أَعْلَمُ!.

وَإِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ مِنْ عَافِيَةٍ وَنِعْمَةٍ فَيُزِيلُ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَيُهْلِكُهُمْ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفِسِهِمْ مِنْ ذَلِكَ بِظُلْمِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا وَاعْتِدَاءِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، فَتَحِلُّ بِهِمْ حِينَئِذٍ عُقُوبَتُهُ وَتَغْيِيرُهُ.

فَإِنَّهُ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ مِنَ النِّعْمَةِ وَالعَافِيَةِ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ جَلَّ وَعَلاَ.

وَالمَعْنَى: أَنَّهُ لاَ يَسْلِبُ قَوْمًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَيْهِمْ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، وَبَيَّنَ هَذَا المَعْنَى فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ (الأَنْفَال/ ٥٣). وَقَوْلِهِ: ﴿**وَمَآ أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ**﴾ (الشُّورَى/ ٣٠). "أ.هـ.

وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ (التَّغْيِيرَ) يَنْبُعُ -فِي المَقَامِ الأَوَّلِ- مِنْ ذَاتِ الإِنْسَانِ مِنَ البِنْيَوِيَّةِ الدَّاخِلِيَّةِ لَهُ [مِنْ دَاخِلِ الإِنْسَانِ ذَاتِهِ]، فَتَتَفَاعَلُ الأَفْكَارُ فِي النُّفُوسِ وَالعُقُولِ مِمَّا يُنْشِئُ دَافِعًا دَاخِلِيًّا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ دَافِعًا سُلُوكِيًّا عَمَلِيًّا؛ مِمَّا يَنْتُجُ عَنْهُ تَغْيِيرًا وَتَحَوُّلاً حَضَارِيًّا بِجَمِيعِ أَشْكَالِهِ وَصُوَرِهِ.

مَعَ الوَضْعِ فِي الاعْتِبَارِ أَنْ يَنْسَجِمَ التَّغْيِيرُ (البِنَائِيُّ) مَعَ (الأَصَالَةِ)، وَأَنْ يَكُونَ تَعْبِيرًا عَنِ الفَاعِلِيَّةِ فِي البِنْيَةِ الثَّقَافِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ وَالاقْتِصَادِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ. ...

فَـ(دِينَامِيكِيَّةُ) الحَرَكَةِ التَّغْيِيرِيَّةِ (دَاخِلِيًّا وَخَارِجِيًّا) تَرْتَبِطُ بِطَبِيعَةِ الأَفْكَارِ، وَدَرَجَةِ تَلَوُّثِهَا وَنَقَائِهَا، وَمَدَى تَجَذُّرِهَا وَانْبِعَاثِهَا مِنْ دِينِنَا [وَالإِيمَانُ بِأَنَّهُ لاَ يُتَصَوَّرُ عِزٌّ وَلاَ نَصْرٌ وَلاَ تَمْكِينٌ إِلاَّ

بِالتَّمَسُّكِ بِحَبْلِ اللهِ المَتِينِ]؛ فَلاَ بُدَّ مِنْ أَصَالَةِ الفِكْرَةِ، وَارْتِبَاطِهَا بِجُذُورٍ عَمِيقَةٍ فِي تُرْبَتِهَا، مَعَ فَاعِلِيَّةِ السُّلُوكِ وَالحَرَكَةِ.

فَالسُّقُوطُ وَالنُّهُوضُ بِنْيَوِيٌّ دَاخِلِيٌّ فِي المُقَامِ الأَوَّلِ، وَأَسْبَابُ التَّخَلُّفِ (الدَّاخِلِيَّةِ) أَشَدُّ فَتْكًا بِالأَوْصَالِ [مَعَ عَدَمِ تَغَافُلِنَا عَنْ العَوَامِلِ (الخَارِجِيَّةِ) مِثْل مُؤَامَرَاتِ أَعْدَائِنَا الَّتِي لاَ تَتَوَقَّف]، فَلِذَا يَلْزَمُ تَحْدِيدُ الأَسْبَابِ وَالأَهْدَافِ قَبْلَ البَدْأِ فِي أَيِّ تَحَرُّكٍ، مَعَ تَحْدِيدِ الاتِّجَاهِ مُسَبَّقًا بَعْدَ الدِّرَاسَةِ المُتَأَنِّيَةِ وَالوَاعِيَةِ.

فَلاَ بُدَّ مِنَ اخْتِرَاقِ طَبَقَاتِ الحَقِيقَةِ، وَمُسَاعَدَةِ العَقْلِ عَلَى رُؤْيَةِ الأَشْيَاءِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ دُونَ تَضْخِيمٍ أَوْ تَقْزِيمٍ، وَتَجَاوُزِ مَرْحَلَةِ العَفَوِيَّةِ وَالارْتِجَالِ وَالاجْتِهَادَاتِ الفَرْدِيَّةِ [وَصَبُّ ذَلِكَ فِي بَوْتَقَةِ الجَمَاعَةِ لِخِدْمَةِ الأُمَّةِ كُلِّهَا لاَ الفَرْدِ]، بَلْ لاَ بُدَّ مِنَ الاعْتِمَادِ عَلَى الدِّرَاسَاتِ العِلْمِيَّةِ الجَادَّةِ وَالوَاعِيَةِ، وَعَدَمِ التَّذَثُّرِ بِالأَوْهَامِ، وَالوُلُوجِ فِي الأَحْلاَمِ وَالخَيَالاَتِ، أَوْ حَتَّى مَا يَقُومُ عَلَى المِثَالِيَّةِ المُجَرَّدَةِ [المُحَلِّقَةِ عَالِيًا وَالبَعِيدَةِ عَنْ أَرْضِ الوَاقِعِ]، وَاسْتِشْرَافِ المُسْتَقْبَلِ بِرُؤْيَةٍ وَاعِيَةٍ وَقَادِرَةٍ عَلَى التَّطَوُّرِ وَالتَّجَدُّدِ؛ بَعْدَ رَصْدِ وَتَقْيِيمِ الإِمْكَانِيَّاتِ المُتَاحَةِ، وَأَيْضًا بَعْدَ رَصْدِ التَّحَدِّيَاتِ وَالعَقَبَاتِ المُتَوَقَّعَةِ مِنْ كُلِّ الاتِجَاهَاتِ وَعَلَى كَافَّةِ الأَصْعِدَةِ، وَالوُصُولِ إِلَى مَجْمُوعَةِ المَفَاهِيمِ الَّتِي تُشَكِّلُ الصُّورَةَ الذِّهْنِيَّةَ الصَّحِيحَةَ عَنِ القَضَايَا وَالمُشْكِلاَتِ الَّتِي تَوَاجِهُنَا؛ مِنْ خِلاَلِ بَحْثٍ عَمِيقٍ وَمُرَكَّزٍ، وَتَوْلِيدِ أَفْكَارٍ بنَّاءَةٍ، وَإِيجَادِ الحُلُولِ المُثْلَى لِكُلِّ المُشْكِلاَتِ وَالأَزَمَاتِ، وَتَشْكِيلِ مَنْظُومَةٍ مُتَرَابِطَةٍ مِنَ الوَعْيِ وَالفَهْمِ وَالعَمَلِ وَالعَطَاءِ؛ تَدْفَعُ الإِنْسَانَ نَحْوَ الأَمَامِ بِخُطًى ثَابِتَةٍ وَوَاثِقَةٍ.

فَلاَ بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ الأَسْبَابِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى هَذَا وَذَاكَ، وَوَضْعِ اليَدِ عَلَى مَصَادِرِ الأَوْجَاعِ وَالأَسْقَامِ وَتَطْبِيبِهَا أَوِ اسْتِئْصَالِهَا، وَالقَضَاءِ عَلَى رَمْزِيَّاتِ الانْحِطَاطِ، وَمُعَالَجَةِ الأَدْوَاءِ بِرُؤْيَةٍ (عَقَدِيَّةٍ) صَحِيحَةٍ.

فَلاَ بُدَّ مِنْ وَضْعِ مِبْضَعِ الجَرَّاحِ عَلَى الدُّمَّلِ وَتَنْظِيفِهِ مِنَ القِيحِ وَالصَّدِيدِ؛ مَهْمَا كَانَ الأَلَمُ مِنْ

جَرَّاءِ ذَلِكَ.. وَالقَضَاءِ عَلَى عَوَامِلِ التَّخَلُّفِ وَالسُّقُوطِ؛ بِمُطَارَدَةِ الجَهْلِ وَمُحَارَبَةِ الخُرَافَةِ، وَالأَخْذِ بِأَسْبَابِ النُّهُوضِ، وَالوُصُولِ لآلِيَّاتِ التَّقَدُّمِ وَتَمَلُّكِهَا وَاسْتِعْمَالِهَا وَالبَرَاعَةِ فِيهَا [بَلْ وَابْتِكَارِهَا]؛ عَلَى أُسُسٍ مَتِينَةٍ مِنْ ثَقَافَتِنَا الذَّاتِيَّةِ المُعْتَمِدَةِ عَلَى تُرَاثِنَا الأَصِيلِ، القَائِمِ عَلَى أَسْبَابِ نَهْضَتِنَا؛ أَلاَ وَهُوَ: (القُرْآنُ) وَ(السُّنَّةُ).

وَمَعَ الوَضْعِ فِي الِاعْتِبَارِ أَنَّ المَعْرِفَةَ الإِسْلاَمِيَّةَ مَصْدَرُهَا مِنْ خَارِجِ النَّفْسِ وَهُوَ (الوَحْيُ) المُنَزَّلُ مِنَ اللهِ، وَالوُقُوفُ عِنْدَ حُدُودِ اللهِ وَوَحْيِ اللهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ (الأَعْرَاف/٩٦).

مَعَ النَّظَرِ لِتَرْكِيبَةِ المُجْتَمَعِ وَطَبِيعَةِ ذِهْنِيَّتِهِ، وَطَبِيعَةِ الطَّاقَةِ التَّغْيِيرِيَّةِ الفَعَّالَةِ فِي الوَحْيِ الإِلَهِيِّ.

۞ وَمَعَ عَدَمِ الدُّخُولِ فِي أَيِّ مَعْرَكَةٍ قَبْلَ دِرَاسَتِهَا وَالاسْتِعْدَادِ لَهَا، فَهُنَاكَ عِدَّةُ أَسْئِلَةٍ لاَبُدَّ مِنَ الإِجَابَةِ عَلَيْهَا قَبْلَ الدُّخُولِ فِي أَيِّ مَعْرَكَةٍ؛ هِيَ:

- هَلْ تَسْتَحِقُّ هَذِهِ المَعْرَكَةُ الدُّخُولَ فِيهَا؟
- هَلْ أَسْتَطِيعُ الانْتِصَارَ فِي هَذِهِ المَعْرَكَةِ؟
- مَا الجَائِزَةُ الَّتِي سَتَتَرَتَّبُ عَلَى هَذِهِ المَعْرَكَةِ؟

۞۞۞۞۞

وَ .. بِعَقْلِيَّةٍ نَاضِجَةٍ وَاعِيَةٍ لِرِسَالَتِنَا وَدَعْوَتِنَا وَحَضَارَتِنَا وَقِيَمِنَا الإِسْلاَمِيَّةِ الرَّاقِيَةِ فِي أُسُسِهَا وَمُثُلِهَا وَأَخْلاَقِهَا وَعَقَائِدِهَا وَعِبَادَاتِهَا. ...

عَقْلِيَّةٍ فَاعِلَةٍ مُتَفَاعِلَةٍ تَعْرِفُ مَا يُمْكِنُ أَنْ تُعْطِيَهُ لأَصْحَابِ الخَوَاءِ الرُّوْحِيِّ وَالثَّقَافِيِّ وَالاجْتِمَاعِيِّ، أَصْحَابِ الحَيْرَةِ وَالتِّيْهِ وَالفَرَاغِ .. العَطَاشَى المُتَلَهِّفِينَ لِلْخَلاَصِ مِنْ بَرَاثِنِ المَادَّةِ وَأَثَنِ وَنَتَنِ الحَيَاةِ الجَافَّةِ ..

عَقْلِيَّةٍ تَعْرِفُ مَا تَأْخُذُ وَمَا تَتْرُكُ .. عَقْلِيَّةٍ فَاعِلٍ لاَ مَفْعُولٍ بِهِ،.. لاَ العَقْلِيَّةِ السَّطْحِيَّةِ المُنْبَهِرَةِ!

إِنَّ (الإِنْسَانَ) يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَسِيرًا لِـ(مَاضِيهِ)، وَمُتَقَوْقِعًا فِي (حَاضِرِهِ) ... وَيُمْكِنُ أَنْ لاَ يَكُونَ كَذَلِكَ!

إِنَّهُ .. يَسْتَطِيعُ أَنْ يُغَيِّرَ حَيَاتَهُ، وَأَنْ يَكُونَ شَخْصًا جَدِيدًا؛ كَمَا يُرِيدُ!!!

مَا فَعَلْتَهُ مَرَّةً؛ لاَ يَعْنِي أَنْ تَسْتَمِرَّ فَتَفْعَلُهُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ!!!

الصَّحَابَةُ تَغَيَّرَتْ حَيَاتُهُمْ تَمَامًا: مِنَ الجَاهِلِيَّةِ إِلى الإِسْلاَمِ .. مِنْ عِبَادَةِ الحَجَرِ وَالشَّجَرِ وَالصَّنَمِ إِلى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ الرَّحْمَنِ .. مِنْ رُعَاةٍ لِلإِبِلِ وَالْغَنَمِ إِلى رُعَاةٍ وَقَادَةٍ وَسَادَةٍ لِلأُمَمِ.

فَـ«**الإِسْلاَمُ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ، وَالتَّوْبَةُ تَجُبُّ مَا قَبْلَهَا**» ...

وَقَالَ تَعَالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ (الزُّمَر/٥٣).

وَانْظُرْ كَيْفَ وَاجَهَ الصَّحَابَةُ ﷺ الِابْتِلاَءَاتِ وَالمِحَنِ وَالشَّدَائِدِ وَالصُّعُوبَاتِ الشَّدِيدَةَ وَالظُّرُوفَ القَاسِيَةَ الَّتِي وَاجَهُوهَا؛ وَلَمْ تَحُلْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْ يَكُونُوا عَلَى مَا أَصْبَحُوا عَلَيْهِ .. فَأَصْبَحُوا مِلْءَ السَّمْعِ وَالبَصَرِ، وَسَادُوا العَالَمَ بِأَسْرِهِ فِي مُدَّةٍ وَجِيزَةٍ جِدًّا ... إِنَّهُمْ عَرَفُوا (كَيْفَ يَكُونُونَ) كَمَا أَرَادُوا (أَنْ يَكُونُوا)!!!

وَذَلِكَ كُلُّهُ بِعَوْنِ (الله) لَهُمْ حَيْثُ أَطَاعُوهُ!

فَهَذَا -مَثَلاً- (ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ) ﷺ؛ [اسْمُهُ عَمْرو، وَقِيلَ: كَانَ اِسْمُهُ الْحُصَيْنُ فَسَمَّاهُ النَّبِيّ ﷺ: عَبْدَ الله، وَلاَ يَمْتَنِعُ أَنَّهُ كَانَ لَهُ اِسْمَانِ، وَهُوَ قُرَشِيٌّ عَامِرِيٌّ، أَسْلَمَ قَدِيمًا، وَالأَشْهَرُ فِي اِسْمِ أَبِيهِ: (قَيْسُ بْنُ زَائِدَةَ)]. وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْرِمُهُ وَيَسْتَخْلِفُهُ عَلَى المَدِينَةِ، وَشَهِدَ الْقَادِسِيَّةَ فِي خِلاَفَةِ عُمَرَ فَاسْتُشْهِدَ بِهَا، وَقِيلَ: رَجَعَ إِلَى المَدِينَة فَمَاتَ، وَهُوَ الأَعْمَى المَذْكُور فِي سُورَةِ (عَبَسَ)، [وَاسْمُ أُمِّهِ: (عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الله المَخْزُومِيَّةَ)]. وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ وُلِدَ أَعْمَى فَكُنِّيَتْ أُمُّهُ (أُمَّ مَكْتُومٍ)؛ لانْكِتَامِ نُورِ بَصَرِهِ، وَالمَعْرُوفُ أَنَّهُ عَمِيَ بَعْدَ بَدْرٍ بِسَنَتَيْنِ.

فَانْظُرْ كَيْفَ أَصْبَحَ فِي أَعْلَى المَنَاصِبِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ؛ فَهُوَ مُؤَذِّنُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَمِيرُ المَدِينَةِ، بَلْ مُجَاهِدًا فَمَاتَ شَهِيدًا ﷺ!!!

❁❁❁❁❁

فَـ"الإِنْسَانُ" يَسْتَطِيعُ أَنْ يُغَيِّرَ "مَاهِيَّتَهُ" (أَيْ: شَخْصِيَّتَهُ) ...

إِنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَحَجَّرَ فِي صُورَةٍ ثَابِتَةٍ .. وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَغَيَّرَ..

وَهَذَا مَا يُمَيِّزُهُ عَنِ الحَيَوَانِ، بَلْ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ (الأَشْيَاءِ) ..

إِنَّهُ (إِنْسَانٌ)! .. إِنَّهُ لَيْسَ شَيْئًا مِنَ (الأَشْيَاءِ) لاَ يُفْهَمُ وُجُودُهَا إِلاَّ عَلَى ضَوْءِ (مَاهِيَّتِهَا) الَّتِي خُلِقَتْ عَلَيْهَا ...

إِنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُدْرِكَ وَيَعِي .. وَأَنْ يُفَكِّرَ وَيَتَعَلَّمَ .. إِنَّهُ يَمْلِكُ القُدْرَةَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرَ وَيَتَغَيَّرَ ...

فَالإِنْسَانُ لَيْسَ أَسِيرَ (الوِرَاثَةِ) وَ(البِيئَةِ) أَوْ حَتَّى (مَاضِيهِ) ..

إِنَّهُ لاَ يَكُفُّ مُطْلَقًا عَنْ أَنْ يَخْتَارَ لِنَفْسِهِ مَا يُرِيدُ أَنْ يَكُونَهُ.

فَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ غَيَّرَ مَجْرَى حَيَاتِهِ! .. كَمْ مِنْ إِنْسَانٍ سَمَا وَارْتَفَعَ وَانْتَصَرَ عَلَى كُلِّ المُعَوِّقَاتِ الَّتِي وَاجَهَتْهُ! وَعَكْسُ ذَلِكَ؛ كَمْ مِنْ إِنْسَانٍ سَقَطَ وَانْحَدَرَ!!!

❁❁❁❁❁

إِنَّ المَخْلُوقَاتِ كُلَّهَا سَبَقَ العَدَمُ وُجُودَهَا ... فَهَذَا هُوَ "الإِنْسَانُ"؛ كَانَ "عَدَمًا" .. كَانَ "لاَ شَيْءَ" ...

وَلاَ يُؤْمِنُ أَنَّ بَعْدَ هَذِهِ الحَيَاةِ حَيَاةً إِلاَّ (المُؤْمِنُ)؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا**﴾ (الإِنْسَان/١).

وَلِذَا؛ فَشَتَّانَ بَيْنَ حَيَاةِ (المُؤْمِنِ)، وَبَيْنَ حَيَاةِ غَيْرِهِ مِنَ البَشَرِ.

إِنَّ غَيْرَ المُؤْمِنِ لاَ يُمْكِنُ أَبَدًا أَنْ يَصِلَ إِلَى (اليَقِينِ) إِلاَّ فِي لَحْظَةِ (المَوْتِ) وَمَا بَعْدَهَا؛ وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾ (ق/ ١٩).

❁❁❁❁❁

وَإِنَّ الخَيَالَ وَالأَحْلامَ الطَّرِيقُ الأَوَّلِيُّ لِلابْتِكَارِ، وَإِنَّ إِنْجَازَاتِ اليَوْمِ مَا هِيَ إِلَّا أَحْلَامُ وَتَخَيُّلَاتُ الأَمْسِ .. إِنَّهَا المُشَكِّلَةُ لِعَالَمِنَا اليَوْمَ.

إِنَّ الإِيمَانَ بِهَذِهِ الأَحْلَامِ كَانَ الدَّافِعُ .. كَانَ القُوَّةُ الذَّاتِيَّةُ الدَّاخِلِيَّةُ الدَّافِعَةُ لِتَحْقِيقِ هَذِهِ الأَحْلَامِ فِي أَرْضِ الوَاقِعِ.

إِنَّ عَدَمَ وُجُودِهَا اليَوْمَ فِي الوَاقِعِ المُعَاشِ؛ سَبَبُهُ هُوَ أَنْتَ!! .. نَعَمْ؛ أَنْتَ السَّبَبُ!! .. لَمْ يُوجَدْ بِدَاخِلِكَ الدَّافِعُ القَوِيُّ لِتَحْقِيقِهِ .. لَمْ تُؤْمِنْ بِقُدْرَتِكَ عَلَى تَحْقِيقِهِ وَالوُصُولِ إِلَيْهِ .. رُبَّمَا كَانَ مَنْ حَوْلَكَ مُثَبِّطُونَ؛ حَاوَلُوا أَنْ يُثَبِّطُوا عَزِيمَتَكَ وَيَفِتُّوا مِنْ عَضُدَكَ .. رُبَّمَا كَانَتْ هُنَاكَ العَوائِقُ وَالعَقَبَاتُ فِي طَرِيقِكَ [وَهَذَا لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ] .. وَلَكِنَّ السَّبَبَ فِي عَدَمِ تَحْقِيقِكَ لِذَلِكَ -فِي الحَقِيقَةِ- هُوَ أَنْتَ!! .. إِنَّكَ لَمْ تُؤْمِنْ بِقُدْرَتِكَ عَلَى النَّجَاحِ.

كَثِيرُونَ فَشَلُوا فِي طَرِيقِهِمْ؛ وَلَكِنَّ هَذَا الفَشَلَ لَمْ يُثْنِيهِمْ عَنْ تَكْرَارِ المُحَاوَلَةِ بَلِ المُحَاوَلَاتِ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى تَحْقِيقِ أَهْدَافِهِمْ ..

فِي إِحْدَى المَعَارِكِ الَّتِي خَاضَهَا (نَابِلْيُون بُونَابَرْت) [وَقِيلَ: القَائِد (تَيْمُور لَنْك)] كَادَ أَنْ يُصِيبَهُ اليَأْسُ بَعْدَ أَنْ فَشَلَ فِي هَزِيمَةِ أَعْدَائِهِ، وَدَخَلَ خَيْمَتَهُ وَهُوَ فِي هَذِهِ الحَالَةِ؛ فَرَأَى نَمْلَةً تُحَاوِلُ أَنْ تَصْعَدَ عَلَى عَمُودِ الخَيْمَةِ فَسَقَطَتْ فَكَرَّرَتِ المُحَاوَلَةَ ثُمَّ مُحَاوَلَاتٍ عَدِيدَةً وَكَانَتْ جَمِيعُهَا تَبُوءُ بِالفَشَلِ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَتَوَقَّفْ عَنِ المُحَاوَلَاتِ [قِيلَ: وَصَلَتْ إِلَى سِتِّ عَشْرَة مَرَّة] حَتَّى نَجَحَتْ [فِي المُحَاوَلَةِ السَّابِعَةِ عَشْرَة]، فَدَبَّ الأَمَلُ وَاشْتَعَلَتِ العَزِيمَةُ فِي قَلْبِ (نَابِلْيُون) مَرَّةً أُخْرَى .. وَأَشْعَلَ الحَمَاسَ فِي جُنُودِهِ .. وَانْتَصَرَ (نَابِلْيُون) فِي هَذِهِ المَعْرَكَةِ.

وَهُنَاكَ الكَثِيرُونَ مِثْلُ (نَابِلْيُون) وَ(تَيْمُور لَنْك)؛ فَشَلُوا فِي أَوَّلِ الأَمْرِ مَرَّاتٍ عِدَّةً حَتَّى أَدْرَكُوا النَّجَاحَ ...

وَمِثَالٌ عَلَى ذَلِكَ: (وَالْت ذِيزْنِي) الَّذِي فَشَلَ كَثِيرًا فِي تَحْقِيقِ (حُلْمِهِ) بَلْ أَفْلَسَ سِتَّ مَرَّاتٍ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ؛ حَتَّى تَحَقَّقَ لَهُ مَا أَرَادَ .. بَلْ رُبَّمَا أَكْثَرَ مِمَّا أَرَادَ!!!

❁❁❁❁❁

وَفِي أَيَّامِ **أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ**؛ بَعَثَ أَبُو بَكْرٍ **خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ** لِقِتَالِ مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابِ وَبَنِي حَنِيفَةَ؛ وَكَانُوا فِي قَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ، وَكَانَ المُسْلِمُونَ بِضْعَةَ عَشَرَ أَلْفًا؛ وَكَانَ المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ قَرِيبًا مِنْ أَلْفَيْنِ وَخَمْسِمِائَةٍ، فَأَظْهَرُوا شَجَاعَةً نَادِرَةً فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ، وَصَبَرَتِ الصَّحَابَةُ فِي هَذَا المَوْطِنِ صَبْرًا لَمْ يُعْهَدْ مِثْلُهُ، وَأَلْجَأُوهُمْ إِلَى حَدِيقَةٍ هُنَاكَ [حَائِط حَفِير] وَتُسَمَّى (حَدِيقَة المَوْتِ)، فَتَحَصَّنُوا بِهَا وَأَغْلَقَتْ بَنُو حَنِيفَةَ بَابَ الحَدِيقَةِ، فَحَصَرُوهُمْ الصَّحَابَةُ فِيهَا وَأَحَاطُوا بِهِمْ.

فَقَالَ **البَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ** [أَخُو أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَكَانَ الأَكْبَرَ]: ضَعُونِي عَلَى بُرْشٍ وَاحْمِلُونِي عَلَى رُؤُوسِ الرِّمَاحِ، ثُمَّ أَلْقُونِي مِنْ أَعْلَاهَا دَاخِلَ البَابِ. [قُلْتُ: إِنَّهُ حَلٌّ لَيْسَ تَقْلِيدِيًّا] فَاحْتَمَلُوهُ وَرَفَعُوهُ عَلَى الأَسِنَّةِ فَوْقَ الرِّمَاحِ حَتَّى تَمَكَّنَ مِنْ أَعْلَى سُورِهَا ثُمَّ أَلْقَى نَفْسَهُ عَلَى المُشْرِكِينَ وَنَهَضَ سَرِيعًا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُهُمْ وَحْدَهُ وَيُقَاتِلُونَهُ حَتَّى تَمَكَّنَ مِنْ فَتْحِ الحَدِيقَةِ [فَيَا لَهَا مِنْ شَجَاعَةٍ نَادِرَةٍ لَا مَثِيلَ لَهَا] وَدَخَلَ المُسْلِمُونَ يُكَبِّرُونَ وَقُتِلَ مُسَيْلَمَةُ؛ قَتَلَهُ وَحْشِيُّ بْنُ حَرْبٍ بِحَرْبَتِهِ. [هُوَ: قَاتِلُ حَمْزَةَ ﷺ، فَقَتَلَ منْ أَفْضَلِ النَّاسِ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَقَتَلَ منْ شَرّ النَّاسِ فِي الإِسْلَامِ]

فَكَانَ جُمْلَةُ مَنْ قُتِلُوا فِي الحَدِيقَةِ وَفِي المَعْرَكَةِ قَرِيبًا مِنْ عَشْرَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ، وَقِيلَ: أَحَدٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، وَقُتِلَ مِنَ المُسْلِمِينَ سِتُّمِائَةٍ، وَقِيلَ: خَمْسُمِائَةٍ، وَفِيهِمْ مِنْ سَادَاتِ الصَّحَابَةِ وَأَعْيَانِ النَّاسِ. انْظُرْ: (البِدَايَة وَالنِّهَايَة) لِابْنِ كَثِيرٍ

❁❁❁❁❁

وَلَمَّا أَبْطَأَ الفَتْحُ [أَيْ: فَتْح حِصْنِ (بَابِلْيُونَ) أَثْنَاءَ فَتْحِ المُسْلِمِينَ لِـ(مِصْرَ)، وَحِصْنُ (بَابِلْيُونَ) أَوْ قَصْر الشَّمْعِ؛ قَدْ بَنَاهُ (الرَّيَّانُ بْنُ أَرْسِلَاوِن)، وَكَانَ هَذَا القَصْرُ يُوقَدُ عَلَيْهِ الشَّمْعُ فِي رَأْسِ كُلِّ شَهْرٍ؛ وَذَلِكَ إِذَا حَلَّتِ الشَّمْسُ فِي بُرْجٍ مِنَ البُرُوج] عَلَى عَمْرِو [بْنِ العَاصِ ﷺ] قَالَ الزُّبَيْرُ [بْنُ العَوَّامِ ﷺ]: «إِنِّي أَهَبُ نَفْسِي لله تَعَالَى، وَأَرْجُو أَنْ يَفْتَحَ اللهُ بِذَلِكَ عَلَى المُسْلِمِينَ». فَوَضَعَ

سُلَّمًا إِلَى جَانِبِ الحِصْنِ مِنْ نَاحِيَةِ سُوقِ الحَمَامِ، ثُمَّ صَعَدَ وَأَمَرَهُمْ إِذَا سَمِعُوا تَكْبِيرَهُ يُجِيبُونَهُ جَمِيعًا، فَمَا شَعَرُوا إِلَّا وَالزُّبَيْرُ عَلَى رَأْسِ الحِصْنِ يُكَبِّرُ وَمَعَهُ السَّيْفُ؛ وَتَحَامَلَ النَّاسُ عَلَى السُّلَّمِ حَتَّى نَهَاهُمْ عَمْرٌو خَوْفًا أَنْ يَنْكَسِرَ السُّلَّمُ، وَكَبَّرَ الزُّبَيْرُ تَكْبِيرَةً فَأَجَابَهُ المُسْلِمُونَ مِنْ خَارِجٍ، فَلَمْ يَشُكَّ أَهْلُ الحِصْنِ أَنَّ العَرَبَ قَدِ اقْتَحَمُوا جَمِيعًا الحِصْنَ، فَهَرَبُوا وَعَمَدَ الزُّبَيْرُ بِأَصْحَابِهِ إِلَى بَابِ الحِصْنِ فَفَتَحُوهُ، وَاقْتَحَمَ المُسْلِمُونَ الحِصْنَ.

فَلَمَّا خَافَ (المُقَوْقَسُ) عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ مَعَهُ سَأَلَ عَمْرَو بْنَ العَاصِ الصُّلْحَ، وَدَعَاهُ إِلَيْهِ عَلَى أَنْ يُفْرَضَ لِلْعَرَبِ عَلَى القِبَطِ دِينَارَيْنِ دِينَارَيْنِ عَلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَأَجَابَهُ عَمْرٌو إِلَى ذَلِكَ.

وَكَانَ مُكْثُهُمْ عَلَى القِتَالِ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ. اِنْتَهَى كَلَامُ ابْنِ عَبْدِ الحَكَمِ بِاخْتِصَارٍ.

هَذَا؛ وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الأَثِيرِ وَابْنُ خَلْدُونَ أَنَّ الَّذِي تَسَلَّقَ حِصْنَ (بَابِلْيُونَ) هُوَ: عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ.

❁❁❁❁❁

هُنَاكَ نَوْعٌ مِنَ التَّفْكِيرِ يَخْتَلِفُ عَنِ هَذَا (التَّفْكِيرِ النَّمَطِيِّ) التَّقْلِيدِيِّ .. إِنَّهَا طَرِيقَةٌ لَا تَعْتَمِدُ عَلَى طَرِيقَةِ (التَّسَلْسُلِ المُنْطِقِيِّ) الَّتِي نَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فِي تَفْكِيرِنَا المُعْتَادِ؛ وَيَضْرِبُونَ لِذَلِكَ مَثَلًا فَيَقُولُونَ:

إِنَّ رَجُلًا يَهُودِيًّا مُرَابِيًا قَمِيئًا أَحَبَّ فَتَاةً غَايَةً فِي الذَّكَاءِ وَالجَمَالِ، فَقَامَ هَذَا المُرَابِيُّ بِإِقْرَاضِ أَبِيهَا وَلَمْ يُطَالِبْهُ بِسَدَادِ قَرْضِهِ حَتَّى أَثْقَلَ عَلَيْهِ القُرُوضَ بِمَا يُوقِنُ بِعَجْزِهِ عَنْ سَدَادِهَا؛ وَعِنْدَئِذٍ طَالَبَهُ بِسَدَادِ الَّذِي عَلَيْهِ، وَبِطَبِيعَةِ الحَالِ عَجَزَ الرَّجُلُ عَنِ السَّدَادِ، فَطَلَبَ مِنْهُ هَذَا المُرَابِيُّ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِتِلْكَ الفَتَاةِ؛ فَرَفَضَ أَبُوهَا كَمَا رَفَضَتِ الفَتَاةُ، فَقَالَ هَذَا المُرَابِيُّ الخَبِيثُ لِهَذَا الرَّجُلِ أَمَامَ الفَتَاةِ: فَمَا قَوْلُكَ أَنْ نَتْرُكَ ذَلِكَ لله؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: فَكَيْفَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ هَذَا المُرَابِيُّ: نَقْتَرِعُ عَلَى ذَلِكَ. فَقَالَ الرَّجُلُ: كَيْفَ؟ فَقَالَ المُرَابِيُّ: إِنَّنَا الآنَ نَقِفُ فِي هَذِهِ الحَدِيقَةِ الَّتِي نُزَيِّنُهَا بِهَذَا الحَصْوِ

الْمُلَوَّنِ بِالأَبْيَضِ وَالأَسْوَدِ، فَلْنَضَعْ فِي قَدَحٍ حَصْوتَيْنِ مِنَ الحَدِيقَةِ حَيْثُ نَقِفُ إِحْدَاهُمَا بَيْضَاءُ وَالأُخْرَى سَوْدَاءُ، وَتَسْتَخْرِجُ الفَتَاةُ حَصْوَةً وَاحِدَةً مِنَ القَدَحِ، فَإِنْ كَانَتِ البَيْضَاءَ سَقَطَ دَيْنُكَ فَمَا عُدْتُ أُطَالِبُكَ بِهِ وَلَا أَتَزَوَّجُ الفَتَاةَ، وَإِنْ كَانَتِ السَّوْدَاءَ أَتَزَوَّجُ الفَتَاةَ، وَإِنْ رَفَضْتَ هَذَا العَرْضَ فَتُسْجَنْ. فَوَافَقَ الجَمِيعُ عَلَى ذَلِكَ، فَأَتَى المُرَابِيُّ الخَبِيثُ بِقَدَحٍ وَأَظْهَرَ أَمَامَهُمَا أَنَّهُ يَلْتَقِطُ حَصْوَتَيْنِ بَيْضَاءَ وَسَوْدَاءَ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ -كَمَا اتَّفَقُوا، إِلَّا أَنَّهُ الْتَقَطَ حَصْوَتَيْنِ كِلَاهُمَا سَوْدَاءُ، وَلَمْ يَرَ ذَلِكَ إِلَّا الفَتَاةُ، وَطَلَبَ مِنْهَا أَنْ تَأْخُذَ مِنَ القَدَحِ حَصْوَةً وَاحِدَةً؛ كَمَا اتَّفَقُوا.

فَمَاذَا تَصْنَعُ الفَتَاةُ؟ إِنْ أَخْبَرَتْ بِمَا صَنَعَ هَذَا الخَبِيثُ؛ فَسَيَتَظَاهَرُ بِالغَضَبِ وَالثُّورَةِ وَسَيَسْجُنُ أَبَاهَا، وَإِنْ أَخْرَجَتْ حَصْوَةً فَسَتَكُونُ سَوْدَاءَ؛ وَتَتَزَوَّجُ حِينَهَا بِهَذَا الخَبِيثِ!! .. فَمَاذَا تَصْنَعُ؟

إِنَّ الأَمْرَ يَحْتَاجُ إِلَى طَرِيقَةٍ تَفْكِيرٍ غَيْرِ تَقْلِيدِيَّةٍ وَغَيْرِ نَمَطِيَّةٍ .. فَمَاذَا تَصْنَعُ؟

قَامَتِ الفَتَاةُ بِالتِّقَاطِ حَصْوَةً وَاحِدَةً مِنَ القَدَحِ بِالفِعْلِ وَلَكِنَّهَا تَظَاهَرَتْ بِاخْتِلَالِ تَوَازُنِهَا وَسَقَطَتْ عَلَى الأَرْضِ وَأَطَاحَتْ سَرِيعًا بِالحَصْوَةِ الَّتِي فِي يَدِهَا وَأَضَاعَتْهَا فِي حَصْوِ الحَدِيقَةِ، ثُمَّ قَالَتْ: لَا عَلَيْكُمْ! إِنَّنَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَعْرِفَ الحَصْوَةَ المُسْتَخْرَجَةَ مِنَ القَدَحِ وَالَّتِي ضَاعَتْ بَيْنَ الحَصْوِ؛ وَذَلِكَ بِالنَّظَرِ فِي الحَصْوَةِ الَّتِي لَا تَزَالُ مَوْجُودَةً بِالفِعْلِ فِي القَدَحِ، فَإِنْ كَانَتْ بَيْضَاءَ فَتَكُونُ الأُخْرَى سَوْدَاءَ، وَالعَكْس. فَأَخْرَجَتِ الحَصْوَةَ سَرِيعًا مِنَ القَدَحِ؛ وَكَانَتْ -بِالطَّبْعِ- سَوْدَاءَ، وَقَالَتْ: إِذًا؛ الأُخْرَى كَانَتْ بَيْضَاءَ!!!

وَهَكَذَا؛ نَجَتْ مِنْ هَذَا الزَّوَاجِ وَأَنْجَتْ وَالِدَهَا مِنَ السِّجْنِ.

❁❁❁❁❁

أَنْتَ تَنْبُضُ بِالحَيَاةِ؛ طَالَمَا.. تَخْطُو قُدَمَاكَ نَحْوَ (المُسْتَقْبَل).

❁❁❁❁❁

هَلْ أَنْتَ رَاضٍ عَنْ حَيَاتِكَ؟

إِنَّنَا -هُنَا- أَمَامَ اتِّجَاهَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ ...

تَبْدَأُ بِهَذَا الَّذِي يَقْبَلُ الأُمُورَ عَلَى عِلَّتِهَا وَيُحَاوِلُ أَنْ يَسِيرَ وَسَطَ الظُّرُوفِ المُحِيطَةِ بِهِ.

وَهُنَاكَ مَنْ يَشْعُرُ بِعَدَمِ الرِّضَا وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَقَبَّلَ أَوْ يَتَأَقْلَمَ مَعَ الأَوْضَاعِ الرَّاهِنَةِ دُونَ إِحْدَاثِ تَغْيِيرٍ بِهَا؛ أَيًّا كَانَ هَذَا التَّغْيِير.

وَبَيْنَ هَذَيْنِ النَّقِيضَيْنِ تَقَعُ اتِّجَاهَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ تَقْتَرِبُ بِنِسَبٍ مُخْتَلِفَةٍ لِهَذَا أَوْ لِذَاكَ.

وَعَلَى (الإِنْسَانِ) أَنْ يَنْتَفِعَ بِكُلِّ مَا حَوْلَهُ وَيَسْتَفِيدَ مِنْ كُلِّ مَا يُمْكِنُ الاسْتِفَادَةُ بِهِ قَدْرَ الاسْتِطَاعَةِ، وَيَنْظُرَ إِلَى الجَوَانِبِ الإِيجَابِيَّةِ وَيُحَاوِلَ تَنْمِيَتَهَا .. أَمَّا الجَوَانِبُ السَّلْبِيَّةُ فَعَلَيْهِ أَنْ يُحَاوِلَ إِزَالَتَهَا أَوْ تَعْدِيلَهَا إِلَى الأَفْضَلِ؛ بَلْ يُعِيد التَّفْكِيرَ فِيهَا فَلَعَلَّهَا لَيْسَتْ بِهَذَا السُّوءِ الَّذِي يَتَصَوَّرُهُ! .. وَيَسْأَل نَفْسَهُ: كَيْفَ يَسْتَفِيدُ مِنْهَا؟ بَلْ هَلْ يُمْكِنُ تَحْوِيلُهَا إِلَى جَوَانِب إِيجَابِيَّةٍ؟

فَـ(الإِنْسَانُ) -مَثَلاً- قَدْ يُعَاقُ لِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ جِدًّا فِي إِشَارَةِ مُرُورٍ؛ فَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَنْتَفِعَ بِهَذَا الأَمْرِ الوَاقِعِ طَالَمَا لاَ يَسْتَطِيعُ تَغْيِيرَهُ؟ .. إِنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحَاوِلَ الاسْتِرْخَاءَ .. وَالتَّفْكِيرَ فِي حَلِّ بَعْضِ المُشْكِلاَتِ .. أَوْ تَرْتِيبَ أَفْكَارَهُ وَخُطَطَهُ .. أَوْ تَذَكُّرَ الجَوَانِبَ الإِيجَابِيَّةَ فِي حَيَاتِهِ؛ لِبَثِّ الأَمَلِ أَوِ التَّفَائُلِ. ...

فَيَجِبُ عَلَى المُسْلِمِ أَلاَّ يَنْظُرَ لِلْجَوَانِبُ السَّلْبِيَّةِ عَلَى أَنَّهَا كُلَّهَا شَرٌّ، فَالنَّظْرَةُ السَّلْبِيَّةُ تَعُوقُ التَّفْكِيرَ السَّلِيمَ الَّذِي يُسَهِّلُ الوُصُولَ لِلْحَلِّ المُنَاسِبِ بِإِذْنِ الله؛ وَفِي هَذَا يَقُولُ الشَّافِعِيُّ:

أَمَا تَرَى البَحْرَ تَعْلُو فَوْقَهُ جِيَفٌ وَتَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَاعِهِ الدُّرَرُ

❁❁❁❁❁

أَسْأَلُكَ: هَلْ تَعِيشُ (حَيَاتَكَ) وَأَنْتَ تَفْعَلُ مَا تُحِبُ وَتَرْغَبُ أَنْ تَفْعَلَهُ؟

إِنَّ بَعْضَنَا يَفْعَلُ مَا يَشْعُرُ أَنَّهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَهُ؛ دُونَ اقْتِنَاعٍ مِنْهُ .. وَدُونَ حُبٍّ وَدُونَ

رَغْبَةٍ بِذَلِكَ .. حَتَّى وَدُونَ الْتِزَامٍ مِنْهُ أَمَامَ ذَاتِهِ.

وَلَكِنْ سَلْ نَفْسَكَ: لِمَاذَا -إِذَنْ- تُنَافِقُ؟ .. وَمَنْ تُنَافِقُ؟ .. وَإِلَى مَتَى تَظَلُّ تُنَافِقُ؟ .. لِمَاذَا لَا تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ فَعْلَهُ وَتُحِبُّ أَنْ تَفْعَلَهُ؛ طَالَمَا حَقًّا وَصَالِحًا وَصَوَابًا؟ .. لِمَاذَا لَا تُخْلِصُ فِي العَمَلِ؟

(الشَّخْصُ القَوِيُّ) يَقُولُ وَيَفْعَلُ .. مَا يَعْنِي، وَمَا يُرِيدُ، وَمَا يَرْغَبُ فِيهِ، وَيُحِبُّهُ، وَيَقْصِدُهُ.

إِنَّ هَذَا كَامِنٌ بِدَاخِلِكَ؛ فَدَعْهُ يَنْطَلِقُ مِنْ مَحْبَسِهِ لَا تَعْتَقِلْهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ..

أَنْتَ تَحْتَاجُ أَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ مَرَّةً وَاحِدَةً وَبَعْدَهَا سَيَسْقُطُ هَذَا الزَّيْفِ وَالخِدَاعِ وَالنِّفَاقِ .. إِنَّهَا مَرَّةً وَاحِدَةً كَفِيلَةٌ لِتُقَوِّمَ (حَيَاتَكَ) بِأَسْرِهَا.

لَابُدَّ أَنْ تَعِيشَ (حَيَاتَكَ) أَنْتَ؛ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تُحَقِّقَ لَكَ مَا تَصْبُو إِلَيْهِ مِنْ احْتِيَاجَاتٍ وَرَغَبَاتٍ وَأَحْلَامٍ وَآمَالٍ، ..حَيَاةٌ تَسْمَحُ لَكَ بِأَنْ تَتْرُكَ عَلَيْهَا (بَصْمَتَكَ) أَنْتَ لَا بَصْمَةَ غَيْرِكَ .. وَتَسِيرُ بُصْلَتُهَا فِي الِاتِّجَاهِ الَّذِي حَدْدَتَهُ لِنَفْسِكَ سَلَفًا.

إِنَّ (حَيَاتَكَ) هِيَ إِيمَانُكَ بِذَاتِكَ .. هَوِيَّتُكَ ..

أَنْ تَحْيَا الحَيَاةَ الَّتِي تَبْتَكِرُهَا لِتَصِلَ إِلَى (هَدَفِكَ).

فَإِلَى مَتَى سَتَظَلُّ ظِلًّا لِغَيْرِكَ؟ ... [اِسْتَعِنْ بِـ(الله)، وَلَا تَعْجَزْ]

❁❁❁❁❁❁

- وَتَذَكَّرْ -يَا عَبْدَ الله! [وَكُلُّنَا عَبِيدٌ لله]- أَنَّكَ (عَبْدٌ لله) .. وَأَنَّكَ سَتُسْأَلُ وَحْدَكَ بَيْنَ يَدِي الله (مَبْدَأُ الْمُسَاءَلَةِ الذَّاتِيَّةِ)؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿**كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ**﴾ (الطُّور/ ٢١)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**﴾ (المُدَّثِّر/ ٣٨)، وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:[1] «**الْكَيِّسُ** [أَيْ:

(١) رَوَاهُ ابْنُ المُبَارَكِ (٥٥/١ ح ١٧١)، وَالطَّيَالِسِيُّ (ص ١٥٣ ح ١١٢٢)، وَأَحْمَدُ (٤/ ١٢٤ ح ١٧١٦٤)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٦٣٨/٤ ح ٢٤٥٩) وَقَالَ: حَسَنٌ. وَابْنُ مَاجَهْ (١٤٢٣/٢ ح ٤٢٦٠)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فى الحِلْيَةِ (٢٦٧/١)، وَالبَيْهَقِيُّ (٣٦٩/٣ ح ٦٣٠٦)، وَالطَّبَرَانِيُّ (٢٨١/٧ ح ٧١٤١)، وَالحَاكِمُ (١٢٥/١ ح ١٩١) وَقَالَ:

العَاقِل] **مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ**»؛ وَهَذَا هُوَ: (مَبْدَأُ الجَزَاءِ) فَتَنَبَّهْ لِهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ (الزَّلْزَلَة/٧، ٨).

۞۞۞۞۞

وَأَخِيرًا؛ "كُنْ جَمِيلاً تَرَى الوُجُودَ جَمِيلاً" ... وَقَدْ قِيلَ:

أَيَا هَذَا الشَّاكِي وَمَا بِكَ دَاءٌ ... كَيْفَ تَغْدُو إِذَا غَدَوْتَ عَلِيلاَ
إِنَّ شَرَّ النُّفُوسِ فِي الأَرْضِ نَفْسٌ ... تَتَوَقَّى قَبْلَ الرَّحِيلِ الرَّحِيلاَ
وَتَرَى الشَّوْكَ فِي الوُرُودِ وَتَعْمَى ... أَنْ تَرَى فَوْقَهَا النَّدَى إِكْلِيلاَ
وَالَّذِي نَفْسُهُ بِغَيْرِ جَمَالٍ ... لاَ يَرَى فِي الكَوْنِ شَيْئًا جَمِيلاَ
أَيَا هَذَا الشَّاكِي وَمَا بِكَ دَاءٌ ... كُنْ جَمِيلاً تَرَى الوُجُودَ جَمِيلاَ

وَ.. أَخْرِجْ أَجْمَلَ مَا فِيكَ!

إِنَّكَ تَمْلِكُ (السَّعَادَةَ) بِدَاخِلِكَ!

إِنَّكَ تُدْرِكُ وَتَعِي: مَنْ أَنْتَ؟ وَ.. تُدْرِكُ وَتَعِي مَا حَوْلَكَ!

إِنَّكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُسْقِطَ ذَاتَكَ عَلَى مَا حَوْلَكَ، بَلْ .. وَأَنْ تَعْمَلَ عَلَى تَغْيِيرِ العَالَمِ مِنْ حَوْلِكَ!

إِنَّكَ (إِنْسَانٌ)، وَتَمْلُكُ (الإِرَادَةَ)!!!

۞۞۞۞۞

صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ البُخَارِيِّ. وَكَذَا العَسْكَرِيُّ فى الأَمْثَالِ، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فى (مُحَاسَبَةِ النَّفْسِ) عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ.

وَرَوَاهُ أَيْضًا: البَزَّارُ (٨/٤١٧ ح ٣٤٨٩)، وَالقَضَاعِيُّ (١/١٤٠ ح ١٨٥)، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فى الزُّهْدِ (١/٣٨)، وَالدَّيْلَمِيُّ (٣/٣١٠ ح ٤٩٣٠).